وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ

الفروق الجنسية وتكاملهما في ضوءِ القرآنِ والسُّنَّةِ والعلومِ الحديثة



الدكتور جوهر مشتاق

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ

الدكتور جوهر مشتاق

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ

الفروق الجنسية وتكاملهما في ضوءِ القرآنِ والسُّنَّةِ والعلومِ الحديثة

المؤلف: الدكتور جوهر مشتاق

تصحيح وتدقيق الترجمة:

الشيخ ياسر الحُمَيدي

د. أحمد الصوفي

أ. صالح قرة محمد

الفهرس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

في عصرٍ تُهَدَّدُ فيه ثوابت الأدوار الجنسانية (الجندرية) بالتغيير والتفكيك تحت تأثير الأيديولوجيات الغربية، تواجه المجتمعات الإسلامية تحديًا غير مسبوق: كيف نوفق بين التعاليم الإسلامية الخالدة وبين تيارات الحداثة والعلمانية والنسوية المتطرفة. ففي العالم الإسلامي اليوم، تُخاض معركة صامتة لكنها عميقة، بين الحكمة الإلهية وبين إغراءات ما يُسمَّى زوراً بـ"التحرر". وهذا الكتاب هو ردٌّ على تلك المعركة، يُقدِّم دفاعًا جريئًا مدعومًا بالأدلة العلمية عن الرؤية الإسلامية للعلاقة بين الرجل والمرأة، مستنداً ليس فقط إلى الوحي، بل أيضًا إلى حقائق العلم الحديث التي لا تقبل الجدل.

لطالما تم تغذية الأمة الإسلامية بالخطاب الزائف القائل بأن المساواة تعني التماثل—وأن تكريم المرأة يقتضي محو الفروق التي أقرها الله بين الجنسين. لكن هذا الكتاب سيثبت أن الفروق بين الرجل والمرأة ليست "مُنتَجات اجتماعية" يجب هدمها، بل هي آيات إلهية يُحتفى بها. فمن تركيب الدماغ إلى تعقيدات المشاعر، يؤكد العلم الحديث اليوم ما جاء في القرآن والسنة منذ قرون: الرجل والمرأة متساويان في القيمة، لكنهما مختلفان في التصميم، كلٌّ منهما يُكمِّل الآخر في النسيج العظيم للحضارة الإنسانية.

يهدف هذا الكتاب إلى تقديم فهم واضح لطبيعة العلاقة الصحيحة بين الرجل والمرأة في الحياة الاجتماعية، وإبراز الحكمة الإلهية من التكامل بينهما. كما سيُثبت بالمنطق والحجة أن المفاهيم الأخلاقية التي تقوم عليها النظم الاجتماعية الغربية ليست فقط غير عقلانية، بل تحمل في طياتها عواقب كارثية على الإنسانية. وسيلفت البحث العلمي الاجتماعي المقدم هنا الانتباه إلى تفوق القوانين الطبيعية التي أقرها الله، وسيُبرهن أن الحياة الأسرية والتقسيم الطبيعي للأدوار بين الرجل والمرأة هما وحدهما الطريق لتحقيق مراد الله.

فلكلٍّ من الرجل والمرأة طبيعة ووظائف مختلفة، والحضارة لا تقوم إلا بفهم هذه الفروق واحترامها.

لطالما ادعت النسويات المتطرفات أن الرجل والمرأة متشابهان إلا في الوظائف الجنسية وأشكال الأجساد.[1] وزعمن أن الفروق الظاهرة بينهما هي مجرد "بناءات اجتماعية" نتجت عن بيئة قمعية. بل واستخدمن قوة الإعلام الفاتنة لإقناع الشباب بالتخلي عن الحياء والعفة.[2] ونرى اليوم نفس هذه الظاهرة في البلاد الإسلامية، حيث يُروِّج بعض المحدَثين والنسويين—العالقين في نظريات الستينيات البالية—أن الفروق البيولوجية بين الجنسين تافهة، وأن المجتمع "ذو الجنس الواحد" ليس ممكناً فحسب، بل مرغوباً. لكن هذه الادعاءات لا تستند إلى حقائق علمية بقدر ما تنبع من أجندات سياسية أو معتقدات شخصية. فاليوم، يستخدم المفكرون الحداثيون

---

[1] Gilder, George (2001). <u>Men and Marriage</u>. Louisiana, Pelican Publishing Company.

[2] Graglia, Carolyn (1998). <u>Domestic Tranquility: A Brief Against Feminism</u>. Dallas, Spence Publishing Company.

والنسويون شعارات براقة لجرّ المرأة المسلمة إلى الخروج من حجابها ومن عزلة بيتها، فقط لاستغلالها—بل استغلال جسدها—في سوق العمل. فوعودهم قد تلمع، لكنها تخلو من روح الإسلام الحقيقية.

في هذا الزمن الذي تتعرض فيه قيم الأسرة المسلمة للحصار، أصبحت الحاجة ملحة إلى عمل يوضح مكانة المرأة في الإسلام في ضوء العلم الحديث. وقد حرصت في هذا الكتاب على تدعيم كل حجة بأبحاث من مجلات علمية مرموقة، تثبت أن الفروق بين الرجل والمرأة بيولوجية عميقة الجذور، تسبق حتى الميلاد. فبينما اكتشف العلماء هذه الحقائق بالفعل، لا يزال عامة الناس—بما فيهم كثير من المحدَثين والنسويين المسلمين—يجهلون علم "جنس الدماغ" الثوري، الذي يثبت أن أدمغة الذكور والإناث تُبرمَج بشكل مختلف حتى في رحم الأم.

لكن هذا الكتاب ليس مجرد مجموعة من الحقائق؛ بل هو دعوة لإعادة اكتشاف حكمة الإسلام في عصر الضياع. فبين طياته، ستجد اكتشافات علمية مذهلة تؤكد حقائق القرآن والسنة الخالدة، ورؤى عملية لحماية أسرتك من

فوضى الأيديولوجيا الجنسانية. والسؤال المطروح الآن واضح: هل نترك مجتمعاتنا تُشكَّل حسب الأهواء العابرة، أم نعود إلى المخطط الإلهي الأزلي الذي جاء في القرآن والسنة وقاد البشرية قرونـًا؟ الإجابة بين يديك.

الفصل الأول

المرأة – اللبنة الأساسيّة للمجتمع

قال الله تعالى في القرآن:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء:1]

نظرًا لأنّ كلاً من الرجال والنساء بشر، فإنّهم متساوون في إنسانيتهم. فقد جعل الإسلامُ المرأةَ – قبل أربعة عشر قرنًا– مسؤولةً على قدم المساواة مع الرجل أمام الله في تمجيده وعبادته – ولم يضع حدودًا لتقدمها الأخلاقي. فأعلا منزلتها وقد أشار القرآن إلى أنَّ الأزواجَ لباسٌ لبعضهم بعضًا:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [البقرة: 187].

يرى الإسلام أنّ العلاقةَ بين الزوج والزوجة علاقة تكامليّة - فالزوجان يكملان شخصية بعضهما بعضًا. إنَّ النظام الاجتماعيّ للإسلام هو بالفعل طريق الفطرة؛ لأنه يقوم على التوجيه الإلهي. لا يمكننا أن نعيش في هذا العالم بمحاربة الفطرة ولكن بالعيش في وئام تام معها. وقد توصل علماء الاجتماع والثقافة إلى النتيجة نفسها اليوم.

ومع أنَّ تقارير وسائل الإعلام الغربية غالبًا ما تدفع القرّاء لاستنتاج أنَّ الإسلام يحطُّ من قدر المرأة ويقلل من قيمتها، فإن التعاليم الحقيقية للإسلام تمنح المرأة كثيرًا من الاحترام والشرف والحقوق. يشهد على ذلك أن النساء اللاتي يعتنقن الإسلام في الدول الغربية يفوق عدد الرجال. فَلِمَ كان عدد النساء أكبر مع أنهنّ ولدنَ ونشأنَ في أوروبا وأمريكا وهُنَّ على استعداد للتخلي عن "حريتهن" من أجل اعتناق دين يفترض أنه يضطهدهن ويستعبدهن؟! فهل يمكن أن يضرّ الإسلام بالمرأة ولا يزال يروق لها؟ هل يمكن للإسلام أن يقلل

من منزلة المرأة ومع ذلك لا يزال عدد النساء اللاتي يعتنقن دين الإسلام أكثر من الرجال؟

كيف يمكن تفسير حالة هؤلاء النساء؟ لا يمكن أن يكون هذا مجرد مصادفة. ترى هؤلاء النساء الغربيات المتحوِّلات إلى الإسلام وإلا لما قبلن بدين يحط من قيمتهن. وفقًا لمقال كتبته لوسي بيرينجتون (Lucy Berrington) في مجلة التايمز (Times magazine) (لندن) بتاريخ 9 نوفمبر 1993:

"إنّه لمن العجب أنَّ معظم البريطانيين الذين اعتنقوا الإسلام يجب أن يكونوا من النساء، بحسب الرأي السائد في الغرب الذي يرى أن الإسلام يعامل النساء معاملة سيئة في حين لم يكونوا كذلك وكذلك في الولايات المتحدة فاقَ عدد النساء اللاتي اعتنقن الإسلام عدد الرجال بنسبة أربعة أضعاف، وفي بريطانيا كانت نسبة النساء اللواتي اعتنقن الإسلام أكبر من عدد الرجال ويقدر عددهم بنحو 10000 إلى 20000، وهم جزء من مجتمع مسلم بين مليونٍ و1.5 مليون ".[3]

[3] Berrington, Lucy. (Nov. 9, 1993). “The spread of a world creed” Times (London). Also see: Köse, A. (1996). Conversion to Islam: A Study of Native British Converts. London: Ta-Ha Publishers.

في ألمانيا على سبيل المثال، قدّر المسؤولون الحكوميّون أن 4000 شخصـًا اعتنقوا الإسلام في عام 2008، مقارنة بمتوسطٍ سنويٍّ يبلغ 300 شخصٍ في أواخر عام 1990. وفي أوروبا، يقدر أن أكثر من 50000 شخصٍ يعتنقون الإسلام كل عام وأنَّ غالبيتهم من النساء.[4]

في الوقت الذي أمر فيه النبيّ محمد ﷺ أمّته بالتعامل بلطفٍ مع المرأة، كان علماءُ الدين في أوروبا يناقشون ما إذا كانت المرأة جسدًا فحسب أم جسدًا له روح. كانت تلك هي الحقبة التي آمن فيها الناس في الغرب بصحة ادعاء أرسطو، الذي اعتبر النساء أدنى حيويًّا من الرجال لتخيّله بأن عدد أسنان النساء أقلُّ من الرجال! [5]

---

[4] Allievi, S. (2006). Converts to Islam in Europe: Gender and Social Change. Palgrave Macmillan, London.

[5] أشار الفيلسوف وعالم الرياضيات البريطاني برتراند راسل في كتابه تأثير العلم على المجتمع (الصادر عام 1953 من قبل سايمون اند شوستر، الفصل الأول): "أكد أرسطو أن أسنان النساء أقل من أسنان الرجال. على الرغم من أنه كان متزوجًا مرتين، إلا أنه لم يخطر بباله أبدًا التحقق من هذه الأقوال بفحص فاهي زوجتيه."

فقد منح الإسلام منزلةً عاليةً للمرأة لدرجة أنَّ الله أنزل سورة كاملة في القرآن باسم "النساء" وسورة أخرى باسم "مريم" وثالثة باسم "المجادلة".

يمنح الإسلام المرأة حقوقًا متساويةً في التعاقد والمشاريع والكسب والتملك بشكل مستقل. حياتها وممتلكاتها وشرفها مقدس مثل شرف الرجل. إذا ارتكبت جريمة فلا تقل عقوبتها ولا تزيد عن عقوبة الرجل في حالة مماثلة. إذا تعرضت للظلم أو الأذى، فإنها تحصل على تعويض مستحق يساوي ما يحصل عليه الرجل في وضعها كما هو مذكور في آية 195 في سورة البقرة.

لم يعدَّ الإسلام أبدًا وجود المرأة عائقًا في التطور الروحي للرجل. فقد كان النبي محمد ﷺ يؤدي صلاة التهجد في غرفته الصغيرة، وعندما ينزل إلى السجود كان يدفع برفق ساقي زوجته أم المؤمنين عائشة لإفساح المجال . هذا المشهد الطبيعي المتناغم مختلف تمامًا عن الراهب الزاهد الذي يتعبد وحده في غرفة المعبد.

أول من أسلم وآمن بنبوة النبي محمد ﷺ كانت امرأة هي خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجته. ولم تكن خديجة أول من آمن فحسب، بل كانت سنداً روحيًا وعاطفيًا لرسول الله ﷺ في أصعب لحظات الدعوة. فبعد نزول الوحي الأول في غار حراء، هرع النبي ﷺ إليها مرتعداً، فكانت أول من صدّق وحمته وثبّتت فؤاده بقولها الحكيم: "كلا والله لا يخزيك الله أبداً"، لتكون بذلك حصن الإيمان الأول وأم المؤمنين بجدارة. وكان أول مسلم قدّمت حياتها في سبيل الله امرأة اسمها سمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (والدة الصحابي عمار بن ياسر). وسمية هي أول شهيدة في تاريخ الإسلام. كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زوجة رسول الله ﷺ، من علماء الإسلام اللامعين لدرجة أنّ الصحابة العظماء كانوا يأخذون الإسلام منها، وكانت تعلمهم من وراء الحجاب. وهي من الصحابة الستة الذين رَوَوْا عن رسول الله ﷺ أكبر عدد من الأحاديث. وروت حوالي 2220 حديثًا. وبعد وفاة الرسول الله ﷺ، لم تُعهد حراسة أول نسخة قرآنية إلى رجل بل إلى امرأة وهي زوجة الرسول، أم المؤمنين حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

لطالما قدّر الإسلام أنوثة المرأة واعتبر أنها تلعب دورًا مكمّلاً لدور الرجل. فالمرأة تختلف عن الرجل، والقرآن يؤكد هذا الاختلاف: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [سورة آل عمران: 36] الفرق لا يعني أنهما خصمان بأي شكل من الأشكال. تؤسس هذه الآية لحقيقة أن الاختلافات البيولوجية والنفسية بين الجنسين هي جزء من الحكمة الإلهية في الخلق، حيث يشير لفظ "الاختلاف" هنا إلى الأدوار التكاملية بين الذكر والأنثى في نظام الخليقة، وليس إلى تفاضل في القيمة أو المكانة عند الله تعالى. فالله سبحانه خلق كلًا من الرجل والمرأة بخصائص مميزة تتناسب مع الوظائف التي أعدها لكل منهما في الحياة، وهذه الاختلافات الطبيعية – التي أقرتها الآية – هي ما يُتيح للنسيج الاجتماعي أن يعمل بتناغم وتوازن، حيث يكمل كل جنس الآخر ويُسدّد نقصه، تحقيقًا لمقاصد الشريعة في إقامة المجتمع الصالح. فالتمايز بين الجنسين في الإسلام ليس تنافريًا بل تكامليًا، وليس صراعًا بل تعاونًا في إطار الوحدة الإنسانية المشتركة. ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ

أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٍۖ﴾ [سورة آل عمران: 195]، و﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا﴾ [سورة النحل: 72]

حقوق ومسؤوليات المرأة متساوية في القيمة مع حقوق ومسؤوليات الرجل لكنها ليست بالضرورة متطابقة معها. فتساوي قيمة العمل وطبيعته شيئان مختلفان تمامًا. الرجال والنساء ليست أعمالهم واحدة ولكن لها القيمة نفسها. إن التمييز بين المساواة والتطابق هو أمر في غاية الأهمية. فالمساواة مطلوبة وعادلة، أما التطابق فليس كذلك. فالناس لم يُخلقوا متطابقين لكنهم خُلقوا متساوين. ومع إدراك هذا الفرق، لا مجال لتخيل أن المرأة أدنى من الرجل. ولا أساس للافتراض أنها أقل أهمية منه لمجرد أنهما غير متطابقين. فليست المرأة نسخة طبق الأصل من الرجل، بل لها شخصيتها المتميزة الخاصة بها، وسيحاسب كل من الرجل والمرأة على قدم المساواة يوم القيامة على أعمالهم.

يحدّد الإسلام مجالاتٍ مختلفةً من الأنشطةِ للرجال والنساء. من أجل جوٍّ صحيٍّ ومناسبٍ لعلاقة المرأة بالرجل، وضع الإسلام قوانين وشريعات للنساء وأخرى للرجال من أجل حماية أنوثتها وحفظها من الاضطهاد، يحاول الإسلام خلق حاجزٍ بين المرأة وانحطاطها، وحمايتها من الذئاب البشرية والحيوانات المفترسة في المجتمع. ويقرّ الإسلام بالضعف الجسدي النسبيّ المتأصّل للمرأة مقارنةً بالرجل، ويضع العبء المادي على عاتق الرجل، لتأمين تكاليفَ المعيشة وتوفير احتياجاتها. فمن الناحية المثالية، لا ينبغي أن تجبر أي حاجة أساسية امرأة مسلمة على مغادرة منزلها والتنافس مع الرجال لكسب قوتها – كما حلّ بالنساء في الغرب. سيتم تقديم مناقشة مفصلة لهذه الموضوعات في الفصول التالية.

يسعى دين الإسلام السماوي إلى حماية أخلاق المرأة ، والحفاظ على عفتها من نظرات الذكور الفاسقة، وإفشال الأيدي الشريرة التي تسعى إلى إلحاق الأذى بها. ولتحقيق هذه الأهداف النبيلة، يأمر الإسلام الرجال المسلمين

بغض نظراتهم والنساء المسلمات بالحجاب الكامل حفاظًا على عفة ونقاء كلا الجنسين.

قوة المرأة المسلمة الصالحة

تتمتع المرأة في الإسلام بمكانة رفيعة وامتيازات تشريعية منها:

1. **تُعفَى من بعض الواجبات الدينيّة** كالصلاة والصوم أثناء الحيض والنفاس.
2. **تُعفَى من النفقة على الأسرة** حتى لو كانت تملك المال، **مع وجوب إخراج الزكاة على مالها** إن بلغ النصاب.
3. **لها منزلة عظيمة في البرّ**، فقد جعل النبي ﷺ حق الأم أعظم من حق الأب، كما في الحديث: «مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صُحْبَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ» (متفق عليه)، وهي تستحق التكريم والرعاية من أبنائها.
4. **وجوب المهر لها** حقّ شرعي عند الزواج، ويُتفق عليه مع وليها وفق الضوابط الشرعية.
5. **وجوب النفقة عليها** من زوجها بالمعروف، بما يشمل الطعام والكسوة والسكنى.

6. **تحتفظ بكامل أموالها بعد الزواج**، ولا يشاركها الزوج في ملكيتها.
7. **لا حق للزوج في ممتلكاتها الشخصية**، سواء كانت ابنةً أو أختًا، فلها الحق في الأمان والنفقة من أقاربها الذكور. وإن رغبت في العمل أو المشاركة في النفقة الأسرية، فلها ذلك **بشرط الالتزام بالضوابط الشرعية**.

فطبيعة المرأة في الإسلام ليست دون الرجل، بل هي **ندٌّ له في الكرامة والتكليف**، وشريكٌ في بناء المجتمع ضمن التكامل الشرعي.

يدّعي الإباحيّون أن المجتمع يقوم على هيمنة الذكور التي تستغل النساء. ويزعمون أن زيادة قدرة الرجل على الكسب تؤدي إلى استغلال المرأة. وهذا الادعاء ليس صحيحًا بالضرورة، لأن الإنتاجيّة الاقتصاديّة ليست مقياسًا للرقابة الاجتماعية ولكنها تمثل – في الواقع – الخدمة الاجتماعية. فالمرأة تترك بصمةً دائمةً على اقتصاد الحياة الاجتماعيّة من خلال الإنجاب. وفي هذا الصدد يُلاحظ جورج جيلدر (George Gilder)، الخبير الاقتصادي الأمريكي والناقد الاجتماعي:

"لا تتحكم النساء في اقتصاد السوق، بل يتحكمن في اقتصاد قوة الحياة في مجتمعنا. تعتبر القيم مثل السعادة والإبداع والطاقة والأخلاق أساسيّةً في أي مجتمعٍ ،وعندما تتدهور، لا يمكن لجميع خيول الملك وكل رجال الملك إعادة تجميعها مرة أخرى". (6)

التاريخ الإسلامي مليءٌ بأمثلةٍ لنساءٍ مسلماتٍ صالحاتٍ تَرَكْنَ بصمةً لا تُمحى على صفحات التاريخ. بقيت هؤلاء النساء في منازلهن، لكن نفوذهنَّ تجاوز بكثيرٍ نفوذ كثير من الرجال في مجتمعهن، كما سيُذكَر لاحقًا في هذا الكتاب.

المجالات التي تكون فيها المرأة أفضل من الرجل

يرى الإسلام أنَّ الرجال والنساء ليسوا متطابِقَين ولكنهما لهما القيمة نفسها. مع وضع هذا التمييز في الاعتبار، لا مجال لتخيل أن المرأة أدنى من الرجل.

[6] Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

هناك مناطق معينة يتفوق فيها الرجال على النساء ومجالات أخرى تكون فيها النساء أفضل من الرجال. لهذا السبب، يحدد الإسلام عمومًا مجالاتٍ مختلفةً من الأنشطة للرجال والنساء.

تُظهر الأبحاث العلمية الحديثة تفوق المرأة في دقة الحواس مقارنة بالرجل. لقد ثبت أنّ النساء والفتيات أفضل من الرجال في قدراتهن السمعيّة.[7] كما أنّهنّ أعلى في قدراتهنّ اللفظية ويتحدثن في وقت مبكر من نموّهم ويبدؤون القراءة في وقتٍ أبكرَ من الفتيان. لهذا السبب، شيوع اضطرابات النطق مثل التلعثم عند الذكور أكثر من الإناث.[8] وفي الواقع، مراكز القدرات اللغوية في الدماغ تقدمًا عند الفتيات بمقدار 6 سنوات مقارنة بتلك المراكز الدماغيّة عند

---

[7] Garai, J. E. and Scheinfeld, A. (1968). "Sex Differences in Mental and Behavioral Traits." Genetic Psychology Monographs **77**: 169-299.

[8] Durden-Smith, J. & De Simone, D. (1983). Sex and the Brain. London, Pan Original.

الفتيان.[9]

تتميّز الفتيات – سواءً كنّ صغيراتٍ أو بالغات – بمهارةٍ فائقةٍ في قراءة تعابير الوجوه. وقد أكّدت التجارب العلمية أنّ الفتيات في عمر الثلاث سنوات ونصف يمتلكن قدرةً على تفسير تعابير الوجه تفوق حتى قدرة الذكور في عمر الخامسة.[10]

يمكن للمرأة أن ترى أفضل في الظلام بينما يمكن للرجال أن يروا أفضل في الضوء الساطع. بالإضافة إلى ذلك، تتمتع النساء بذاكرة بصرية أفضل من الرجال.[11] بسبب ذاكرتها البصرية الفائقة، غالبًا ما تكون النساء أفضل من الرجال في تزيين المنزل وتذكر أنماط التزيين داخل المنازل. تشير الدلائل

---

[9] Hanlon, Harriet, Robert Thatcher and Marvin Cline (1999). "Gender Differences in the Development of EEG Coherence in Normal Children." Developmental Neuropsychology **16(3)**: 479-506.

[10] Boyatzis, Chris, Chazan, E. & Ting, C.Z. (1993). "Preschool children's decoding of facial emotions." Journal of Genetic Psychology **154**: 375-382.

[11] McGuiness, D. (1976). “Sex Differences in Organization, Perception and Cognition.” Exploring Sex Differences, Lloyd, B. & Archer, J. (eds.). London, Academic Press. pp. 123-155.

العلميّة بقوةٍ إلى أنّ النساء لديهن حاسة تذوق أفضل بكثير من الرجال.[12] ولذلك، عمومًا المرأة أفضل من الرجل في تحضير أشهى الأطباق. لا شك أنه لا يوجد بديلٌ للأم في المنزل التي تطبخ الطعام لأسرتها.

والسرعة البديهيّة للمرأة أقوى بكثير من الرجل. يمكن لها ملاحظة الأشياء التي لا يقدر رادار الحواس للرجال إدراكها بسهولة. نظرًا لتصورهن المتفوق، فإن النساء أفضل في استيعاب الإشارات الاجتماعية أو التقاط أدلةٍ مهمةٍ من نغمات الصوت فقط.[13] تلاحظ الدكتورة آن موير (Dr. Anne Moir)، عالمة الوراثة البريطانية:

"يصاب الرجال أحيانًا بالغضب من رد فعل المرأة على ما يقولونه. إنهم لا يدركون أن النساء ربما "يسمعن" أكثر مما يعتقد الرجل نفسه أنه "يقوله". ولذا تميل النساء إلى أن يَكُنَّ محكّمات أفضل في الشخصية".[14]

---

[12] Garai, J. E. and Scheinfeld, A. (1968). "Sex Differences in Mental and Behavioral Traits." Genetic Psychology Monographs **77**: 169-299.

[13] Bardwick, J. P. (1971). The Psychology of Women. New York.

[14] Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

في هذا الصدد، عندما يتعلق الأمر بتنشئة الطفل وبناء شخصيته، فليس هناك من هو أفضل كفاءة من الأم لأداء هذه المهمة الضخمة. إذا غادرت الأم منزلها بحثًا عن وظيفة وتركت أطفالها في مركز الرعاية النهارية، فستتأثر مهمة بناء شخصية الطفل سلبًا.

وخلاصة القول، إن النساء أفضل استعدادًا لتلقي مجموعة واسعة من المعلومات الحسيّة، واستخدام تلك المعلومات بأفضل طريقة. والنساء أفضل بشكل طبيعي من الرجال للاستجابة لاحتياجات الطفل. مع حواسهم الأكثر حدة من اللمس والصوت والرائحة والحدس، فإن الأم وليس الأب هو الذي يمكنه فهم احتياجات طفل يبكي أو الحصول على التلميح غير اللفظي عن طريق قراءة وجه طفلٍ مستاء. لا شك أن النساء متفوقات وأفضل تجهيزًا من الرجال للقيام بالمهمة الضخمة المتمثلة في تربية الأطفال وإدارة المنزل.

المرأة صمام العائلة

النساء بطبيعتهن أكثر حنانًا وقدرة على الرعاية من الرجال. المرأة أكثر حساسية بطبيعتها وتكمن قوتها في بناء العلاقات، وربط العائلات ببعضها وبناء المجتمعات. للزوجة صفات معينة لا يملكها الرجل. وقد أكدت آن موير على الدور الأساسي للمرأة في إنقاذ الزواج بقولها ما يأتي:

> **"الزواج ينجح رغم كل الصعاب، ليس لأن المرأة خاضعة، وتستوعب الذكور المتسلطين. يستمر الزواج لأن المهارات الاجتماعية الطبيعية للمرأة – التي يطلق عليها "الذكاء الاجتماعي" – تمكنها من إدارة العلاقة أفضل بكثير من الرجل."(15)**

ومن ثم، في العلاقة الزوجية، لا تكون المرأة مجرد تابعة لزوجها ولكنها هي التي تحافظ على الأسرة معًا بسبب طبيعتها الرحيمة ومهاراتها الاجتماعية الفائقة. وفي الواقع، النساء أكثر ذكاء اجتماعيًا من الرجال. ففي النهاية، أخبرنا

---

15 المرجع نفسه.

رسول الله ﷺ عن أهمية الزوجة الصالحة في الحديث:

الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ. (صحيح مسلم)

في الواقع، لا يوجد شيء في هذا العالم أكثر قيمة من المرأة الصالحة .لقد أسندت الفطرة بلا شك أدوارًا مختلفة للرجال والنساء. إن النساء هن اللواتي يعطين الرجال إحساسًا بالهدف من الحياة. المرأة تحول شهوة الرجل إلى حب. توجه النساء الطاقات الكامنة غير المحددة للرجال في الاتجاه الصحيح كما أشار جورج جيلدر في كتابه "الرجال والزواج":

> **"تتصور النساء المستقبل الذي يميل الرجال إلى الفرار منه؛ يطعمون الأطفال الذين يتجاهلهم الرجال.... هي فقط من يمكنها إعطاء أهمية لأقوى دوافعه".** [16]

في كل مجتمع في العالم، عدد الرجال في أعلى الوظائف أكبرٌ مقارنة بالنساء. فقد يكون الرجال رؤساء تنفيذيين للشركات الكبرى، ومع عدم وجود نقص

[16] Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

في النساء المتعلمات تعليماً عالياً هذه الأيام. فقد يبدأ الرجال أعمالهم التجارية الخاصة. ويتولون القيادة السياسية. ويتقدم الرجال على النساء بفارق كبير في الإبتِكارات العلمية. في العصر الحالي، 99 في المائة من جميع براءات الاختراع مسجلة باسم الرجال. وقد يكسب الرجال أكثر من النساء. إذ يبلغ متوسط راتب المرأة في الولايات المتحدة 73 بالمائة فقط من متوسط راتب الرجل.[17] ولكن علينا أن نفهم أن الرجال والنساء مختلفون وأن مجال واجباتهم مختلف. تتحكم المرأة في نوع آخر من الاقتصاد – اقتصاد قوة الحياة – وهو أمر بالغ الأهمية لتحديد مستوى السعادة والأخلاق والتضامن في المجتمع.

النسوية مقابل العلم الحديث

في العقود الأخيرة، نشأت ظاهرتان متناقضتان: (1) اكتشافات علمية كثيرة تظهر اختلاف الرجال والنساء – نفسياً وحيوياً – وأن الجنسين جيدان في

[17] Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

مجالات مختلفة من الحياة، (2) وهنا التناقض في الظاهرة الثانية باستمرار إنكار النسويّات لتلك الحقائق..

في أوائل القرن العشرين، أظهرت الدراسات العلمية التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية وجود اختلافات ملحوظة بين الجنسين. وقد تبين أن النساء أفضل من الرجال في قدرتهن على السمع، ولديهن قدرة أفضل على استخدام نطاق أوسع من الكلمات الشائعة ويفضلن التعامل مع المشكلات العملية. من ناحية أخرى، يمتلك الرجال مفردات أكثر ميلًا إلى المغامرة ويفضلون التفكير المجرد.[18]

مع اكتساب الحركة النسوية زَخَمًا واسعًا في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أماكن أخرى من العالم في الستينيات وما بعدها، بدؤوا في رفض الاختلافات بين الجنسين وبدؤوا في الادعاء بأن الأطفال –من الناحية الاجتماعية والنفسية– يولدون محايدين جنسانياً وأنّ الأسرة والمجتمع هما اللذان

[18] Garai, J. E. and Scheinfeld, A. (1968). "Sex Differences in Mental and Behavioral Traits." Genetic Psychology Monographs **77**: 169-299.

يهندسانهم اجتماعيًا في الأدوار النمطية للذكور والإناث. ومن المثير للاهتمام، أنه في الوقت الذي كانت فيه النسويات والليبراليون الجنسيون يطرحون وجهات نظرهم، بدأ علم الجنس الدماغي في الظهور. كما سنرى في هذا الكتاب، وقد أظهرت الاكتشافات العلمية الحديثة بوضوح أن الاختلافات بين الرجال والنساء تبدأ قبل الولادة بوقت طويل. تقول العالمة البريطانية آن موير بحق: خلال العقود القليلة الماضية كنا نحاول بناء مجتمعنا على الكذبة الحيوية المكبرة التي مفادها أن الرجال والنساء متشابهون واليوم نعرف الحقيقة.

من الخاسر ومن المستفيد أكثر من "تحرير المرأة"؟!

نشرت جيرمين جرير (Germaine Greer)، وهي ناشطة نسوية مشهورة عالميًا، كتابها "المرأة الكاملة" (The Whole Woman) في عام 1999، وهو تكملة لكتابها "الأنثى الخصية" (The Female Eunuch) الذي نُشِر قبل ثلاثين عامًا. تُناقِش جيرمين جرير في كتابها "المرأة الكاملة" ما تراه نقصًا في

التقدم الأساسي في الحركة النسوية، وتنتقد بعض أقسام الحركة النسائية بسبب الأوهام حول هذا الموضوع. تعترف جيرمين جرير كذلك بأن التحرر الجنسي الذي ترافق مع ثورة النوع الاجتماعي قد أضر بالنساء أكثر من الرجال واستغله الرجال. تجادل:

" الجنسانية التي تم تحريرها هي الجنسانية الذكورية."[19]

وفقًا لجيرمين جرير، فإن التحرر الجنسي يضر بالنساء أكثر من الرجال – تستمر النساء في تجربة عواقب الحمل الهائلة بينما يهرب الرجال منها غالبًا. النتيجة النهائية الأخرى للتحرر الجنسي هي زيادة معدل الطلاق وارتفاع نسبة الأبوة الأحادية. مرة أخرى، فإن النساء هن من يتحملن معظم العبء.كانت العواقب الأخرى للثورة الجنسية هي ألم الوحدة، والنساء هنّ الضحية الغالبًا، وليس الرجال، كما تلاحظ جرير:

[19] Greer, Germaine (2000). The Whole Woman. New York, Anchor Books. pg. 10

"بحلول عام 2020، سيكون ثلث الأسر البريطانية مكونة من فرد واحد، وهو غالبًا امرأة".[20]

إن العبء الذي تتحمله المرأة بسبب "الأبوة الواحدة" (single parenting) هو أحد أكثر أشكال الاضطهاد وحشيةً في عصر "تحرير المرأة". هناك تجارب ومحن في الحياة الزوجية مثلما توجد اختبارات في كل نمط حياة. ومع ذلك، لا يكمن الحل في طلب الطلاق في معظم الحالات. قدمت فيليس شلافلي (Phyllis Schlafly)، أشد معارضي الحركة النسوية الراديكالية في أمريكا، النصيحة التالية لزملائها من النساء في كتابها "تخيلاتٌ نسوية":

"إذا اشتكيت من العبودية للزوج، فستكون العبودية لرئيسك أمرًا لا يطاق. كل شخص في العالم لديه رئيس من نوع ما. إن تحقيق علاقة

---

[20] المرجع نفسه pg. 261

عمل متناغمة مع الزوج أسهل عند معظم النساء من تحقيقها مع رئيس عمال أو مشرف أو مدير مكتب".[21]

[21] Schlafly, Phyllis (2003). Feminist Fantasies. Dallas, Spence Publishing Company.

الفصل الثاني

استغلال المرأة في العصر الحديث

الغاية من الحجاب الإسلامي حماية أخلاق الرجل والمرأة وإغلاق الباب أمام كل ما ينجم عن الاختلاط الحر بين الجنسين في المجتمع. يحرر الإسلام المرأة من استغلال المجتمع. ومع ذلك فإن حاملي أعلام الحضارة الغربية يدّعون أنّهم وحدهم هم من يفعل ذلك. لكنّ وبنظرة متأنيةٍ نتكشف أن استغلال المرأة في المجتمع الغربي لم يسبق له مثيلٌ في التاريخ. فقد أثمرت الثورة الجنسيّة في المجتمع الغربي ثمارها كالانحلال الأخلاقي، وانخفاض معدلات الزواج، وارتفاع معدلات الطلاق، وتفكك نظام الأسرة، وانتشار الأمراض المنقولة جنسيًا. إن الإحصاءات المتعلقة بالمعدلات المتزايدة لفتيات المدارس الحوامل في الولايات المتحدة تنذر بالخطر.

علـى المـرء أن يتسـاءل بصـدقٍ عمَّـا يـتم تقديمـه للمـرأة في المجتمعـات الغربيّـة باسـم التحريـر - هـل هـو التحريـر (Liberation) أم الإِبَاحِيَّـة (Libertinism)؟ يشـير مصـطلح الإِبَاحِيَّـة إلـى نمـط حيـاة ينطـوي علـى الاخـتلاط الجنسـي ورفـض السـلطة الدينيـة أو الأخلاقيـة الأخـرى. إنّ إلقـاءَ نظـرةٍ فاحصـةٍ علـى محنـة النسـاء في الثقافـة الغربيـة يكشـف لنـا مـا نـراه مـن حولنـا - علـى لوحـات الإعلانـات، والأغلفـة الأماميـة للمجـلات اللامعـة، والإعلانـات والـبرامج التلفازيـة، الإعلانـات التجاريّـة علـى الإنترنـت والأفـلام، ومـا إلـى ذلـك، حيـث نجـد كـل شـبرٍ مـن تلـك السـاحات قـد غُطيـت بالجسـد الأنثـوي – هـذا لـيس تحريـرًا للمرأة بل هو استغلالٌ لها.

المشـاكل التي تواجهها المرأة الغربيـة في العصـر الحديث

لم يتغير استغلال النساء من العصور القديمة حتى الوقت الحاضر - تغيرت

الأساليب فقط، تحت ستار جديد. من المؤكد أن النساء في الغرب لم يحققن أي نوع من التحرر. نحن نعلم الآن أن 75٪ من جميع حالات الاغتصاب يرتكبها رجال يعرفون ضحاياهم من الإناث شخصيًا. في أماكن العمل، يستغل الرجال مناصبهم في السلطة لاستغلال النساء. وأهم أسباب الطلاق هو الزنا الذي يحدث بسبب الاختلاط الحر بين الجنسين. السبب الرئيس لحمل المراهقات وفقدان المراهقات لعذرياتهن في المدارس هو نظام التعليم المختلط. وإن معدل الإجهاض في الدول الغربية غير مسبوق في تاريخ البشرية.[22]

لم يحدث من قبل في تاريخ البشرية أن كان هناك مجتمع يختلط فيه الرجال والنساء بمثل هذه الحرية وحيث يتم تقديم المواد الإباحية بغزارة في شكل فنٍّ مغرٍ، مثل لوحات الإعلانات والمجلات اللامعة والتلفاز وشبكة الإنترنت والهواتف المحمولة. اليوم في عصر "التنوير" هذا، يُستَغل الجسد الأنثوي أو

[22] Patel, Ismael Adam (1997). Islam: The Choice of Thinking Women. London, Ta-Ha Publishers.

"يُستغل جنسيًا"، ويظهر بوفرة بحيث يصعب على أي شخصٍ عاقلٍ حماية عفة عينيه.

و في الوقت الحاضر، يعد الطلاق أحد القضايا الصغيرة التي تواجهها المرأة المتحررة في عصرنا الحديث. أما اليوم فهناك مشاكل أكبر بكثير من الطلاق. فقد عانَيْنَ فقدان الشهية واغتصاب الفتيات المراهقات اللائي يجدن أنفسهن حوامل بائسات بالإضافة إلى النساء العازبات في الأربعينيات من العمر اللائي يَتُقنَ إلى الأطفال ؛ فهذه الثقافة لم تكن لطيفةً مع النساء. رفضت جيرمين جرير الزواج والأمومة لصالح العمل طوال حياتها، ومع ذلك، بعد بلوغ الأربعين من عمرها، هي كتبت في مجلة أورا (Aura magazine) البريطانية:

> **"كنتِ في حاجةٍ ماسةٍ لإنجاب طفلٍ ولَديَّ الفواتير الطبيّة لإثبات ذلك. [جرير جرِّبت علاجات الخصوبة بما في ذلك التلقيح الصناعي] ما زلت أحلم بالحمل، أنتظر شيئًا لن يحدث أبدًا."[23]**

[23] Greer, Germaine (May 2000). "My Battle for a Baby." Aura **1**.

وقد حدث ذلك في نفس اللحظة التي يُزعم فيها أن المرأة العصرية قد تحررت من قوانين المنزل والأسرة والزوج. واقع المرأة الحديثة 'المتحررة' أصبح مُزريًا لدرجة أن العديد من المنظّرات النسويّات المتشدّدات بدأنَ يعترفنَ بحقيقة أن المرأة المعاصرة تعاني من اضطهادٍ أكبر من أيّ وقتٍ مضى. خلصت ماري بيفر (Mary Pipher) – العالمة النفسية الأمريكية والنسوية المعروفة – في كتابها بعد دراسة مئات الحالات من المراهقات اللاتي يعانين من تشويه الذات إلى النتائج التالية:

1) تواجه الفتيات اليوم مشاكل أكثر حدة مقارنة بما كن يعانينه قبل ثلاثين عامًا (حيث تقول: "عندما كنت فتاة، كانت المشاكل أكبر مما كانت عليه قبل عشر سنوات")

2) الفتيات في عصرنا أكثر اضطهادًا من الأجيال السابقة

3) ينشأن في ثقافة أصبحت أكثر خطورة، وإفراطًا في التهييج الجنسي، وغرقًا في تأثيرات الإعلام المضللة [24]

---

24 Pipher, Mary (1994). Reviving Ophelia: Saving the Selves of Adolescent Girls. New York, Ballantine Books.

هذا كله لأنه في عصر الثورة الجنسية فَقَدَ المجتمع الحديث احترامه لحياء المرأة. وبكلمات شريفة كارلوس (Shariffa Carlos):

"ليس من الظلم حماية نفسك والمجتمع ؛ من الظلم أن تلقي بنفسك طواعية في المستنقع بينما تنكر أنه قذر".[25]

يطرح الشيخ محمد الشريف، عالم إسلامي كندي، السؤال على مفكري الحداثيين المعاصرين:

"لماذا يريدون تحرير الشابات الجميلات؟ لماذا لا يحررون الكبار؟ لماذا لا يحررون السكان الأصليين؟ لماذا لا يحررون النزلاء؟ لماذا جمهورهم المستهدف من النساء الشابات والنحيفات والطويلات (تعريفهن للجمال) بين سن 13 – 28؟ ولماذا أول دعوة لك لخلع حجابك؟ "[26]

---

[25] Carlos, Shariffa. "When I Covered My Head, I Opened My Mind" (http://www.themodernreligion.com/women)

[26] Alshareef, Mohammad. "How a Pearl Develops" (http://www.kalamullah.com/sisters01.html)

تحرير المرأة أم انحطاطها؟

إن ما يسمى في الواقع "بتحرير المرأة" ليس تحررًا بل انحطاطًا في الواقع. إنه الاستغلال الجنسي للنساء من قبل وسائل الإعلام. كانت المرأة مضطهدة في "الأيام الخوالي السيئة" ولكن هل تغلبت "المرأة الجديدة" في العصر الحديث على هذا الاضطهاد؟ هل حقق التحرير تحريرًا حقيقيًا للمرأة من الظلم؟ حقيقة الأمر أن اضطهاد المرأة لا يزال قائما ولكنه الآن تحت غطاء جديد تدعمه وسائل الإعلام والشعارات الجذابة لتحرير المرأة والنسوية.

في الوقت الحاضر، بدلاً من قتل الفتيات الصغيرات البريئات عند الولادة، يستخدم الناس التقنيات الحديثة لإجهاض الطفل تحت اسم "دعم الحرية" بدلاً من "دعم الحياة". لا يزال يتم التخلي عن النساء اللواتي لديهن أطفال كما كان يحدث في القرون السابقة. الآن يتم إعطاء هذه الظاهرة تسمية جذابة بـ "العائلات الوحيدة الوالد" (single parent family). في العصر الحديث،

بدلاً من بيع أجسادهن في السوق على أنهن عبيد، تبيع النساء أجسادهن للرأسماليين ووسائل الإعلام تحت ستار العارضات والمغنيات والممثلات. تمتلك بعض الكلمات التي يستخدمها الناس قوة معنوية ولديها القدرة على إثارة مشاعر الخجل أو الذنب لدى الناس. وقد أدركتها الثقافة العلمانية والعدمية الحديثة هذه الحقيقة تمامًا. ولذا يتم التخلص من مثل هذه المصطلحات بخبث ومكرٍ ويتم استبدالها بالمصطلحات التي تبدو لطيفة ولا تحمل أي دلالات أخلاقية.

تُجسِّدُ صناعةُ المواد الإباحيةِ الذروةَ القصوى لاستغلال المرأة جنسيًّا تحت ذريعةِ التحرر، حيث تُختزَلُ فيها المرأةُ إلى مجرَّدِ سلعةٍ جنسيةٍ تُنْزَعُ عنها صفاتُ الآدميةِ والحرمةِ. وعلى الرغم من إدانةِ التيارات النسويةِ لهذا النمطِ المهينِ من التمثيلِ — والذي يُعَدُّ انتهاكًا صارخًا للكرامة الإنسانية — فإنَّ العقودَ الثلاثةَ الماضيةَ شهدتْ توسُّعًا غيرَ مسبوقٍ في نطاقِ انتشارِ هذه الصناعةِ وترسُّخِها اجتماعيًّا. وكما تُقرُّ الباحثةُ النسويةُ جيرمين جرير في تحليلها النقدي:

"بعد ثلاثين عامًا من المسيرةِ النسويةِ، أصبحتِ الموادُ الإباحيةُ أكثرَ انتشارًا، وأعظمَ خطرًا، وأشدَّ رسوخًا ممَّا كانت عليه في أيِّ مرحلةٍ تاريخيةٍ سابقةٍ."(27)

تشير جيرمين جرير ومفكرون نسويون آخرون إلى صناعة الأزياء بوصفها مساهمًا رئيسيًا في استعباد النساء المعاصر. على الرغم من أنه يُزعم أن صناعة الأزياء موجودة لإرضاء النساء، إلا أنه في الواقع، كما تشير جيرمين بحق، يخضع لسيطرة الرجال الذين يقنعون النساء بالتعري أو التزين للإضافة إلى عرض عام تم إنشاؤه أساسيًا للرجال.

الضغوط الجديدة على المرأة أكبر من أي وقت مضى في التاريخ. قد تقول لنا النسويات القديمات أن المرأة المتحررة اليوم تعيش حياة أفضل. لكن حتى النسويات الجديدات يعترفن بأن المرأة اليوم تعاني من ضغوط أكبر وحياة

[27] Greer, Germaine (2000). The Whole Woman. New York, Anchor Books.

أصعب من الماضي. تقول جيرمين:

"منذ عام 1955، تضاعف معدل الإصابة بمرض الاكتئاب في الولايات المتحدة بمقدار خمسة أضعاف. لأسباب ليست واضحة، فإن النساء أكثر عرضة للمعاناة من الرجال.... [على سبيل المثال] 17 في المائة من النساء البريطانيات سيحاولن الانتحار قبل بلوغهن الخامسة والعشرين من العمر."[28]

لمواجهة الاكتئاب والحزن، تلجأ المرأة الحديثة إلى الأدوية المضادة للاكتئاب – وهو ما يخدم مصالح الرأسماليين أصحاب شركات الأدوية. يُوصَف 'بروزاك' بكثرةٍ للنساء، وهو نفس الدواء الذي يُعطَى لحيوانات الحدائق لتخفيف شعورها باليأس والحبس. فالسؤال الذي يطرح نفسه: أهذا هو 'تحرير المرأة' أم أنه أسرٌ مقنَّع؟

---

28 المرجع نفسه.

تصوير المرأة جنسيًّا في وسائل الإعلام وآثارها النفسية

من الغريب أنه في المجتمعات الغربية، حيث يكون الجنس المُحرّم متاحًا مجانًا، يكون الاغتصاب مشكلة أكثر خطورة مقارنة بالمجتمعات الإسلامية. هناك أسباب نفسية لذلك. لا شك في أن انتشار تصوير النساء في المواد الإباحية يزيد من حوادث الاغتصاب في المجتمع. لطالما جادل المدافعون عن حقوق المرأة وقادة حركة تحرير المرأة بأن الرجال والنساء متشابهون تمامًا وأن المرأة يمكنها فعل أي شيءٍ والذهاب إلى أي مكان وقول أي شيء وارتداء أي شيء دون الاضطرار إلى مواجهة أي عواقب غير مرغوب فيها. بالإضافة إلى ذلك، فقد حاولوا تدمير نظام الأسرة الأصلي الذي تتمتع به المرأة بحماية أبيها وإخوتها. كانت نتائج هذه المحاولات غير المجدية لتغيير طبيعة الإنسان الأساسية فظيعة.[29]

[29] Paglia, Camille (1992) Sex, Art, and American Culture New York, Vintage Books. Quoted in: Afzaal, Dr. Ahmed A Wake-Up Call: Reflections on Media, Freedom & Morality, (www.tanzeem.org.pk/research).

في مجتمع يتوافر فيه على نطاق واسع مواد إباحية ويتعرض على نطاق واسع لتصوير النساء تصويرًا جنسيًا على لوحات الإعلانات في الطرقات والإعلانات التلفزيونية ووسائل التواصل الاجتماعي وما إلى ذلك، فإن هذا يضع ضغطًا غير طبيعي على النشاط الجنسي الذكوري من خلال اشغال الرجال بالإثارة الجنسية المستمرة. [30]

حتى في الظروف العادية، عندما يتم الكشف عن أجساد النساء في المجتمع، يكون لذلك آثار نفسية بعيدة المدى ومدمرة على الرجال. وفقًا لدراسة بحثية أجراها عالم النفس دوجلاس كينريك (Douglas Kenrick)، فإن الرجال الذين عُرضت عليهم صور لنماذج بلاي بوي، يصفون أنفسهم لاحقًا بأنهم أقل حبًا لزوجاتهم من غيرهم. وفي بحث نُشر في عدد 1989 من مجلة **"علم النفس الاجتماعي التجريبي"**، درس عالم النفس كينريك وزملاؤه في جامعة ولاية أريزونا آثار التعرض للشبقية الجنسية على الذكور والإناث. ووفقًا

---

[30] Gordon, George N., (1980) Erotic Communications New York, Hastings House. Quoted in: Afzaal, Dr. Ahmed A Wake-Up Call: Reflections on Media, Freedom & Morality, (www.tanzeem.org.pk/research).

للباحثين، فإن "التعرض للجمال الجذاب تعرضًا غيرمناسب في المجلات" قد يؤدي إلى انحراف تصور الشخص العادي للجمال. ونتيجة لذلك، فإن مثل هذا التصور الملتوي يمكن أن يؤدي إلى مقارنات مثيرة للقلق بين تجميل وسائل الإعلام للعارضات والواقع الحقيقي للفتيات والذي يتمثل بشريكة حياته ليجدها أقل جاذبية من تلك العارضات في Playboy أو Playgirl".[31] يبدو أن الجاذبية الجسدية معيار أكثر مركزية للاستجابات الجنسية للذكور مقارنة بالإناث. ولعل هذا يوضح التَسْوِيْغ العلمي والمنطقي للحجاب المفروض على المرأة أمام الرجال في حين لا يؤمر الرجال بستر كامل الجسد أمام النساء الأجنبيات، لكنهم يُنصحون بغض البصر.

تخبرنا هذه النتائج أنه عندما يتم الكشف عن جسد المرأة في المجتمع جنسيًا، فإنه يقوض قيمة الزوجة ومؤسسة الأسرة. من خلال تصوير النساء بشكل جنسي في وسائل الإعلام، يؤثر ذلك سلبًا على الرجال ويبدؤون في الحكم

---

[31] Kenrick, Douglas T., Sara E. Gutierres & Laurie L. Goldberg (1989). "Influence of Popular Erotica on Judgments of Strangers and Mates." Journal of Experimental Social Psychology **25**: 159-167.

على زوجاتهم بناءً على معايير الجمال الأنثوي التي تظهر في وسائل الإعلام. وكذلك عندما تُصوَّر النساء تصويرًا جنسيًا ويتم تجريدهن من قيمتهن الإنسانية يبدأ هؤلاء الرجال في التفكير بأن النساء مثل السلع التي يمكن شراؤها وبيعها. عند ذلك، يبدأ هؤلاء الرجال في التفكير بزوجاتهم تفكيرًا كأدوات جنسيةٍ أيضًا وليس شريكة عزيزة مكرمة في الحياة. في حين، لا يتم عرض أجساد النساء في المجتمع المسلم على اللوحات الإعلانية والمجلات والإعلانات التلفازية وما إلى ذلك، ولذا تحتفظ النساء بقيمتهن الفعلية فيفكر الرجال فيهن على أنهن شريكات، وليس سلعًا جنسية يتم عرضها.

بمعنى آخر، عندما تكون المرأة متحجبة في المجتمع، نستطيع تحقيق قدرًا أكبر من الحماية لها كما أشارت مفكرة أمريكية ويندي شاليط (Wendy Shalit) في كتابها **"العودة إلى الحياء"**. [32]

---

[32] Shalit, Wendy (1999). A Return To Modesty: Discovering the Lost Virtue. New York, The Free Press.

الجميلة ووحشُ الإعلام

يضع الرجال في المجتمعات الحديثة معيار الجمال ويواصلون "رفع قيمة" هذه "المعايير" بسرعة كبيرة بحيث لا يمكن للمرأة أن تلحق بها. يشرح إسماعيل آدم باتيل (Ismael Adam Patel) ذلك في كتابه الشهير "الإسلام اختيار المرأة المفكرة" (Islam: the Choice of Thinking Women):

"لا توجد معايير عالمية للجمال الأنثوي فهو صنم وهمي ابتكره الذكر الغربي، الذي يرفع ويغير معاييّره حسب هواه، مما يجعل من المستحيل على أمه أو أخته أو ابنته تحقيقه. فجمال المرأة لا علاقة له بالمرأة: لكنه يتعلق بمؤسسات الرجل وسلطته ...

عندما تخلت نساء الطبقة الوسطى البيض عن لباسهن وخرجن طلبـًا للتحرّر، وقعن مباشرة في فخ صالون التجميل الرأسمالي. فقد تلاعب السوق الرأسمالي بالنساء لإنفاق أكثر من 33 مليار دولار سنويًا على منتجات الحِميَة، و20 مليار دولار على مستحضرات التجميل،

و300 مليون دولار على الجراحة التجميلية، وأكثر من 7 مليارات دولار على المواد الإباحية ". [33]

فقد تم إنشاء أسطورة جمال المرأة من خلال التحالف المشترك بين صناعة الأزياء والإعلام الرأسمالي. يعتمد بقاء صناعة الأزياء وصناعة الإعلان في وسائل الإعلام على استغلال جسد المرأة. صناعة الأزياء تغسل دماغ النساء فتعتقد أن العري وانخفاض وزن الجسم هما تعبير عن الجمال. وبالمثل، جعلت وسائل الإعلام الغربية أجساد النساء مُلكية عامة وكما أصبحت أحاديث السمنة موضوع نقاش عام مكثّف.[34] ولذا تشعر النساء اللواتي يكتسبن الوزن بالذنب تجاه أنفسهن لأنهن منذ سن مبكرة مرهونات باعتقاد أنّ

[33] Patel, Ismael Adam (1997). Islam: The Choice of Thinking Women. London, Ta-Ha Publishers.

[34] المرجع نفسه.

جمالهنّ لا يتحقق إلا بالكشف عن أجسادهنّ النحيلة، وكأن أجسادهن ليست ملكهن بل ملك المجتمع كله.

و يقوم وحش الإعلام بخلق عقدة النقص لدى النساء من جميع الأعمار فيما يتعلق بمظهرهن الجسدي. وذلك عندما تقوم وسائل الإعلام والمجلات واللوحات الإعلانية بتسليط الضوء على صور النساء المشهورات بعد تعديلها رقميًا، حيث تظهر المرأة الخمسينية وكأنها في الثلاثين من عمرها، والستينية وكأنها في الأربعين.". يقول بوب سيانو (Bob Ciano)، مدير فني في مجلة لايف (Life magazine)،

"لا تظهر صورة لأي المرأة دون أن تُحسّن... حتى لو كانت امرأة مسنة مشهورة لا بُدَّ من تحسينها ... لجعلها تبدو كأنَّها في الخمسين من عمرها". (35)

[35] المرجع نفسه.

ما هي آثار هذا التلاعب بالصور؟ وفقًا لخبير التصوير الضوئي هاين :(Heyn)

> **"ليس لدى القراء الآن فكرة صحيحة عن شكل وجه امرأة تبلغ 60 عامًا في الإعلام لأن وجهها صُمِّمَ 45. وعندما تنظر البالغات من العمر 60 عامًا في المرآة يعتقدن أنهنّ أكبر من اللازم، لأنهنّ يقارن أنفسهنَّ ببعض الوجوه المعدلة التي تبتسم لهم من إحدى المجلات. ثقافة المرأة وسيلة خادعة ومثبطة ". (36)**

إنّ هذه ليست قضية سطحية. ما ورد في الأسطر أعلاه يوضح دور وسائل الإعلام في استخدام قوتها الإغوائية لغرس عقدة النقص في أذهان النساء المطمئنات في المجتمع. من خلال عرض صور منقّحة للنساء ، تصور وسائل الإعلام أنواعًا مثالية لا يمكن الوصول إليها من النساء على الشاشة، وبالتالي، تُبقي المجتمع في حالة عطش عاطفي. يشير الناقد الاجتماعي إسماعيل آدم باتيل إلى هذا الشكل من اضطهاد المرأة كما كتب:

---

[36] المرجع نفسه.

"جعل المرأة تبدو أصغر سنًا وأنحف وأكثر رشاقة هو محو هوية المرأة الحقيقية، وقيمتها وقوتها وتاريخها. هذا هو أكثر أنواع الاضطهاد ضررًا، والآن أخيرًا بدأت النساء في الغرب يستيقظن ببطء على هذا الاضطهاد. هذا هو أحد الأسباب التي جعلت الشابات المتعلمات في الغرب يجدن التعاليم الصادقة للإسلام جذابة للغاية ".(37)

"عندما يصبح الجمال مشكلة اجتماعية" - تأثيرات وسائل الإعلام في آراء الذكور

"الجمال" في هذا السياق يُقصد به المعايير البصرية المُفرطة التي تروجها وسائل الإعلام للأنثى، والتي تحوّلت إلى مقياسٍ غير واقعي يُقارن به النساء في الحياة الواقعية. أظهرت دراسات نفسية أن الرجل يُستثار بصريًا أكثر من المرأة. فبينما يتفق الذكور عمومًا على ترتيب جمال الإناث، نادرًا ما تتفق

[37] المرجع نفسه.

النساء على جاذبية الرجال، إذ يعتمدن في التفضيل على الوضع الاجتماعي والاقتصادي أكثر من المظهر.

من أخطر آثار الاختلاط غير المنضبط والاستغلال الإعلامي للمرأة **تشويهُ مفهوم الجمال الطبيعي** لدى الرجال. تُظهر أبحاث علم النفس الاجتماعي أن تعرّض الذكور لصور الإناث "المثالية" في الإعلام يرفع توقعاتهم بشكل غير واقعي. في دراسة نشرتها مجلة الشخصية وعلم النفس الاجتماعي (1980)، لاحظ الباحثان الأمريكيان دوغلاس تي كينريك (Douglas T. Kenrick) وسارة إي جوتيريس (Sara E. Gutierres) أن:

- **الذكور الذين شاهدوا ممثلات جذابات في التلفاز قللوا من تقييم جاذبية امرأة عادية (مقارنةً بمن لم يشاهدوا تلك الصور).**
- **نفس التأثير ظهر عند تعريض مجموعة لمجلات تحتوي على عارضات جذابات.**

وخلصت الدراسة إلى أن:

"تعريض الذكور لصور الجاذبية المفرطة (في الأفلام/ المجلات) يشوّه إدراكهم للجمال الطبيعي."(38)

الواقع المُر:

1. النساء في الإعلام يُختَرن بناءً على معايير جمالية متطرفة.
2. صورهن تُعدّل رقميًا وتُزيّن بالمكياج والإضاءة المبالغ فيها.
3. النتيجة:
   - شعور النساء العاديات بالنقص.
   - إحباط الشباب (خاصة في الزواج التقليدي) عندما لا تطابق العروس توقعاتهم غير الواقعية.
   - انحراف بعض المتزوجين بسبب مقارنة زوجاتهم بنماذج الإعلام.

[38] Kenrick, Douglas T. and Sara E. Gutierres (1980). "Contrast Effects and Judgments of Physical Attractiveness: When Beauty Becomes a Social Problem." Journal of Personality and Social Psychology **38**(1): 131-140.

وبالمثل، في دراسة أخرى أجراها علماء النفس الاجتماعي بجامعة ولاية أريزونا، تم التحقق من تأثير التعرّض لصور الإثارة الجنسية (كالعارضات في المجلات) على تقييمات الجذب الجنسي. وكما في الدراسات السابقة، أظهرت النتائج أن الجاذبية الجسدية تمثل معياراً أساسياً للاستجابة الجنسية لدى الذكور أكثر من الإناث. وقد خلص الباحثون إلى القول:

"إن مشاهدة صور الإناث الجذابات بشكل مبالغ فيه في المجلات الإباحية يجعل المظهر الجسدي عاملاً أكثر حسماً لدى الرجال عند تقييمهم لجاذبية زوجاتهم وفق تلك المعايير غير الواقعية". [39]

وحقيقة الأمر أن النساء المصوَّرات في وسائل الإعلام لا يمثلن متوسطات الإناث في المجتمع. "يتم بالفعل اختيار الإناث الإعلاميات على معايير جمالية متطرفة للغاية فيما يتعلق بالجاذبية الجسدية."[40] كما تمرُّ صور

[39] Kenrick, Douglas T. Sara E. Gutierres and Goldberg, Laurie L. (1989). "Influence of Popular Erotica on Judgments of Strangers and Mates." Journal of Experimental Social Psychology **25**: 159-167.

[40] Kenrick, Douglas T. and Sara E. Gutierres (1980). "Contrast Effects and Judgments of Physical Attractiveness: When Beauty Becomes a

الإعلاميات بعملية كاملة لإعادة خلق الصور أو الماكياج المتطرف المبالغ فيه قبل عرضها على الجمهور. نتيجة لذلك، لا تشعر النساء العاديات في المجتمع فقط بعقدة النقص تجاه جمال وجههن عند مقارنته بـ "جمال الوسائط الأنثوي" المصطنع، ولكن النتيجة مدمرة أيضًا للذكور الذين يتعرضون لتلك الصور الأنثوية في وسائل الإعلام. في ضوء هذا البحث، يمكننا أن نفهم بسهولة وضع هؤلاء الشباب المسلم الذين يتعرضون دائمًا للأفلام والمسلسلات التلفزيونية والمجلات اللامعة والإنترنت عندما يواجهون صعوبة في قبول العروس التي يختارها والديهم في الزيجات المدبرة لمجرد أنها ليست جميلة مثل وسائل الإعلام. وبالمثل، فإن الرجال المتزوجين الذين يعرّضون أنفسهم باستمرار لهجمات وسائل الإعلام ولا يغضّون أبصارهم، يفقدون في نهاية المطاف الاهتمام بزوجاتهم ويحاولون الانخراط في علاقات محرَّمة تؤدي إلى الزنا.

Social Problem." Journal of Personality and Social Psychology **38**(1): 131-140.

الفصل الثالث

الصبيان والبنات يكبرون بشكل مختلف

– الأدلة العلمية

"خلاصة القول أن تنظيم الدماغ يختلف بين الإناث والذكور. أما الجدال المُتكرر حول أيهما أكثر ذكاءً أو أي منهما يمتلك دماغًا 'أفضل'، فهو جدال عقيم لا يختلف عن السؤال عن أي أداةٍ 'أفضل': السكين أم الملعقة؟ والإجابة الوحيدة الصحيحة هي: 'أفضل لماذا؟' فالسكين تفوق الملعقة عند تقطيع اللحم، بينما الملعقة أنسب لشُرْب مرق الدجاج."(41) (ليونارد ساكس، دكتور في الطب، دكتوراه)

(ليونارد ساكس، دكتور في الطب، دكتوراه)

إن النسويات دائمًا تصرُخنَ بأن الرجال والنساء متشابهون تمامًا وأن أدوار الجنسين في المجتمع هي نتاج الإشراط الاجتماعي. إذا تمكنّا بطريقةٍ ما

[41] Sax, Leonard M.D., Ph.D. (2005). Why Gender Matters: what parents and teachers need to know about the emerging science of sex differences. New York, Broadway.

من إعادة هندسة هذا التكييف من خلال الهندسة الاجتماعية، فسنكون قادرين على عكس أدوار الجنسين. ومع ذلك، فشلت تجربة الهندسة الاجتماعية التي أجريت في كيبوتس (مستوطِنة يهودية) (سيأتي الكتاب على ذكره). ومن ناحية أخرى، تشير الدلائل العلمية إلى الفروق بين الجنسين على مستوى الحمض النووي ذاته. كانت القيادات النسائية النسوية في الستينيات في الولايات المتحدة وأوروبا ترفع شعارات المساواة بين الجنسين في وقت كان العلم الحديث فيه لا يزال غير مجهز للنظر في الجوانب الدقيقة للاختلافات بين الجنسين. ومع ذلك، أظهرت التقنيات الحديثة للفحص الجيني واكتشافات الحمض النووي والعلوم الناشئة عن الجنس الدماغي بشكل قاطع أن الأولاد والبنات يختلفون من الوقت الذي يخترق فيه الحيوان المنوي الذكر بويضة الأنثى لبدء حياة الجنين في رحم الأم. وبالتالي ينمو الأولاد والبنات بعد الولادة نموًّا مختلفًا.

تتطور أدمغة الأولاد والبنات تطوراً مختلفـًا

كشفت الأبحاث أنه حتى قبل الولادة، تحفز الهرمونات الجنسية في رحم الأم تغيراتٍ دائمةً ومتباينةً في تطور أدمغة الأجنة الذكور والإناث. على سبيل المثال، أثناء الحمل، تطلق خصيتا الجنين كمية من هرمون التستوستيرون (هرمون الذكورة) في رحم أمه تساوي الكمية التي ينتجها الشاب البالغ. ترتبط هذه الهرمونات الجنسية بأنسجة دماغ الجنين وتحوّل دماغه لتطوير صفات خاصة متعلقة بالجنس. كما أظهر الباحثون في ورقة بحثية نُشرت في المجلة الطبية "Prenatal Diagnosis" ، أن دماغ الطفلة التي لم تولد بعد يمكن تمييزها عن دماغ الذكر أثناء الفحص المنتظم بالموجات فوق الصوتية في الأسبوع السادس والعشرين من الحمل فقط.[42] وقد قارنت مجموعة من العلماء أنسجة المخ للأطفال الرضع، فوجدوا اختلافات كبيرة بين أدمغة

---

[42] Achiron, Reuwen, Lipitz, Shlomo & Achiron, Anat (2001). "Sex-related differences in the development of the human fetal corpus callosum: in utero ultrasonographic study." Prenatal Diagnosis **21**: 116-120.

الذكور والإناث. اللافت للنظر هو الاختلافات الواضحة في الصور المجهرية لأنسجة المخ لدى الأطفال من الذكور والإناث بحيث يمكن رؤيتها بالعين المجردة بسهولة. ومن المثير للاهتمام أن هذا البحث الذي نُشر في عدد عام 2000 من المجلة "أبحاث الدماغ التنموي" ترأسه عالمة أبحاث د. ماريا كورديرو (Maria Cordero).[43]

قبل بضعة عقود، اكتشف عالم النفس الأمريكي هربرت لاندسيل (Herbert Landsell) من مركز ماريلاند للأبحاث أن الرجال والنساء يتأثرون تأثرًا مختلفًا تمامًا عند حدوث تلف في نفس المنطقة من الدماغ. أكدت العديد من الدراسات التي أجراها علماء لاحقون النتائج التي توصل إليها لاندسل والتي تفيد بأن أدمغة الرجال أكثر تخصصًا في حين أن تقسيم الوظائف في أدمغة

[43] Cordero, Maria Elena, Valenzuela, Carlos, Torres, Rafael, Rodriguez, Angel (2000). "Sexual dimorphism in number and proportion of neurons in the human median raphe nucleus." Developmental Brain Research **124**: 43-52.

النساء لا يتخصص في نصف كرة مخية.(44)

يتمتع الرجال بقدراتٍ مكانيّةٍ أفضلَ بكثير مقارنة بالنساء – أي تصوير موقع الأشياء وجغرافيتها وشكلها في مساحة ثلاثية الأبعاد في أذهانهم. يحتاج الرجال إلى قدرة مكانية فائقة للتعامل مع العالم الخارجي باعتباره المعيل للأسرة. من ناحيةٍ أخرى، تتمتع النساء بقدرات لفظية فائقة ومهارات قراءة الوجه مقارنة بالرجال. هذه المهارة الثمينة تحتاجها الأمهات بشدة في رعاية أطفالهم.

يلعب الأولاد والبنات لعبًا مختلفًا

عادةً ما يزعم المُربّون النسويون أن الاختلاف في سلوك الأولاد والبنات يرجع فقط إلى التربية المختلفة لكل منهما. فهم يُصرّون على أنه لو ربّينا البنات على اللعب بالشاحنات والأولاد على اللعب بالدمى، لاختفى معظم الفروق

44 Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

السلوكية بين الجنسين. ومع ذلك، لا يمكن لهذه الحجة النسوية أن تفسر سبب رؤيتنا المستمرة للاختلافات في سلوك الذكور والإناث بين الحيوانات أيضًا. فحيوانات المختبر لا تلعب بالشاحنات ولا بدمى باربي وهي مختلفة مع ذلك. وبالتالي، من الصعب استخدام هذه الحجة لشرح الفروق بين الجنسين. فالحقيقة أن أدمغة الذكور والإناث مختلفة وينعكس هذا الاختلاف في ألعاب الأطفال.

و قد أثبت عالم نفس الأطفال كابوسين لا موت (Capucine La Motte) أن معظم الأطفال من سن الثالثة يفضلون اللعب مع أطفال من جنسهم. وتعتبر ألعاب الأولاد الصبيان أكثر قدرة على المنافسة وغالبًا ما تكون عدوانية في حين تعتمد ألعاب البنات على المشاركة والمحادثة. وقد أُكّدت هذه النتيجة خلال النتائج التي توصلت إليها عالمة نفس الأطفال جانيت ليفر (Janet Lever) التي أشارت إلى أنَّ الألعاب التي يلعبها الصبيان لها قواعد (في 65٪ من الحالات) في حين أن الألعاب التي تلعبها الفتيات لها قواعد أقل (35٪

فقط).[45]

وعند النظر بعناية إلى ألعاب الأطفال، فإن المخاطرة عنصر مهم في ألعاب الأولاد، بينما تتميز ألعاب البنات بالصداقة. ويستمر هذا النمط طوال الحياة. نرى باستمرار أن الرياضات والأنشطة المحفوفة بالمخاطر تجتذب الرجال أكثر من النساء. المقامرة وسباق السيارات والملاكمة والمصارعة والقفز بالحبال هي أنشطة ذكورية في الغالب. يتضاعف عدد الفتيان الذين يموتون أثناء ممارسة الألعاب الخطرة والمحفوفة بالمخاطر مقارنةً بالفتيات، وهذا الاتجاه منتشر في جميع أنحاء العالم. ويلاحظ هذا الاتجاه حتى في مملكة الحيوان. على سبيل المثال، أراد عالمتا الأنثروبولوجيا ليندا ماري فيديجان (Linda Marie Fedigan) وساندرا زوهار (Sandra Zohar) معرفة سبب وجود عدد أكبر بكثير من الإناث من قرود المكاك اليابانية (Japanese macaque monkeys) من الذكور. مع أن نسبة الإناث إلى القرود الذكور في

[45] Quoted in: Murad, Abdal Hakim (T.J. Winter) "Boys will be boys: Gender Identity Issues." www.masudkhan.co.uk.

وقت الولادة هي 1 : 1، ولكن تصبح النسبة عند البلوغ 5:1. بعد التحقيق في البيانات من 20 عامًا من البحث، اكتشف Fedigan وZohar أن:

"السبب الرئيسي للوفيات المبكرة لذكور القرود هو سلوكياتهم المخاطرة."(46)

تمامًا مثل الفتيان المراهقين، ينخرط ذكور القرود في أعمال محفوفة بالمخاطر. على سبيل المثال، اكتشف فيديجان وزوهار أن ذكور القرود تحاول عبور الطريق السريع وينتهي بهم الأمر بالسحق بسيارة أو شاحنة قادمة. لا تنخرط إناث القرود في سلوكيات المخاطرة وتميل إلى تجنب الطرق السريعة. ولهذا فإنَّ الفروق بين الجنسين فطرية ومتأصلة، سواءً أكانوا بشرًا أم حيوانات.

[46] Fedigan, Linda Marie and Zohar, Sandra (1997). "Sex Differences in Mortality of Japanese Macaques: Twenty-One Years of Data from the Arashiyama West Population." American Journal of Physical Anthropology **102(2)**: 161-175.

التأثير الهرموني في سلوك الذكور والإناث

أظهرت الدراسات أن الهرمونات الجنسية التي يفرزها الجنين تؤثر تأثرًا كبيرًا على سلوكه الجنسي، حيث يتم وضع أسس السلوك الجنسي في الوقت الذي يبدأ فيه الجنين حياته في رحم الأم ، فالذكور لديهم صبغيات XY والإناث لديهم صبغيات XX. يتمثل دور الصبغي Y في إطلاق هرمونات الذكورة (التستوسترون بشكل أساسي)، والتي تبدأ في تشكيل الأعضاء التناسلية الذكرية. لكن أثر هذه الهرمونات لا يقتصر على تشكيل الأعضاء الجنسية الذكرية والأنثوية فقط ، بل تخترق عمق دماغ الجنين لتؤثر فيه. ففي حالة تضخم الغدة الكظرية الخلقي CAH (congenital adrenal hyperplasia)، يكون هناك إفراز غير طبيعي للأندروجين في جنين XX، وقد يتأثر واحد من كل عشرين ألفًا 20000 ولادة به. وغالبًا ما يولد الأطفال المصابون بهذا الاضطراب بأعضاء الخنثى، ولكن عادةً ما يتم استئصال الأعضاء الذكرية عن طريق الجراحة. ومع ذلك فأن هؤلاء الإناث يظهرن أنماط سلوك ذكرية معينة بسبب إغراقهن بمستويات عالية من هرمونات

الذكورة قبل الولادة.[47] تؤكد العديد من الأبحاث العلمية المنشورة عن هذا المرض أن الإناث المصابات بهذا المرض CAH أكثر عدوانية من النساء العاديات. ويُظهرن تفضيلًا للألعاب المنظمة ذات القواعد، ويفضلن اللعب مع الفتيان أكثر من الفتيات، ويَمِلْن إلى المخاطرة أكثر من الفتيات غير المصابات بهذا الاضطراب.

وكذلك الأولاد الذين يعانون من شذوذ وراثي آخر لصبغي X إضافي (صبغي أنثوي). على الرغم من أن هؤلاء الفتيان من XXY هم من الذكور جسديًا، إلا أن سلوكهم:

"عادةً ما يكون أنثويًا، ويفتقر إلى الدوافع التنافسية والمخاطرة، ويظهر تفضيلًا للعب مع الفتيات في الألعاب المشتركة وغير العدوانية."[48]

---

[47] Kimura, Doreen (1987). "Are Men's and Women's Brains Really Different?" Canadian Psychology / Psychologie Canadienne **28**(2): 133-147.

[48] Quoted in: Murad, Abdal Hakim (T.J. Winter) "Boys will be boys: Gender Identity Issues." www.masudkhan.co.uk.

تُعد دراسات CAH وXXY دليلًا علميًا على التأثير الهائل للهرمونات على السلوك الجنسي. وقد أظهرت دراسات مختلفة أن الفتيات اللاتي تعرضن لهرمونات الذكورة في المرحلة الجنينيّة، يمكن أن يصبن بنمط الطفولة الذكورية تمامًا نتيجة لذلك. كما أظهرت الدراسات أن الفتيان أكثر عدوانية وتوجهًا نحو العمل والفضول بطبيعتهم، وليس بسبب الطريقة التي تربوا عليها. كانت أدمغتهم ذكورية عندما كانوا أجنة في رحم أمهاتهم. وتميل الهرمونات الأنثوية إلى جعل المرأة عاطفية، وأنسية، وخجولة، وحساسة.[49] يعود سبب هذه الفروق بين الجنسين في الموهبة والأداء إلى التفاعل الدقيق بين الطريقة التي يتشكل بها الدماغ أثناء حياة الجنين وكيف تعمل الهرمونات الجنسية على هذا الدماغ لبقية الحياة.[50]

---

49 Dalton, K. (1976). "Prenatal progesterone and educational attainments." British Journal of Psychiatry **129**: 438-442.

50 Ehrhardt, A. A. and Meyer-Bahlburg, H.F.L. (1981). "Effects of prenatal sex hormones on gender-related behaviour." Science **211**: 1312-1314.

المعالجة العاطفية المختلفة عند الذكور والإناث

غالبًا ما يقول الناس "النساء عاطفيات والرجال عقلانيون". قد يكون هذا البيان صحيحًا جزئيًا. الحقيقة هي أنه من الناحية العاطفية، هناك دائمًا الكثير مما يحدث داخل أدمغة الإناث مقارنة بأدمغة الذكور. تشعر النساء أكثر ويمكن للنساء التعبير عن مشاعرهن أكثر مقارنة بالرجال. قد وجدت دراسة أجرتها مجموعة من العلماء من قسم الطب النفسي في جامعة دوسلدورف في ألمانيا أن مركز الدماغ الذي يتعامل مع المشاعر السلبية يظل عالقًا في اللوزة عند الأولاد حتى بعد أن يكبروا في مرحلة الرجولة. غير أن كان مركز نشاط الدماغ عند الشابات المرتبط بالعواطف السلبية يقع في القشرة الدماغية.(51)

و تم إجراء العديد من التحقيقات البحثية في هذا الصدد، وأحد النتائج العامة هو أن العواطف تتم معالجتها في أدمغة الذكور في مناطق محددة جدًا، إما في

[51] Schneider, Frank, et al. (2000). "Gender Differences in Regional Cerebral Activity during Sadness." Human Brain Mapping **9**: 226-238.

النصف الأيسر من الدماغ أو النصف الأيمن ولكن ليس في كلاهما. ومن ناحية أخرى، تتم معالجة العواطف في أدمغة الإناث عمومًا في كلا النصفين من الدماغ في الوقت نفس. مما يصعب على النساء فصل العاطفة عن العقل. ومع ذلك، هناك حاجة ماسة إلى هذه الطبيعة العاطفية للمرأة أثناء تنشئة الأطفال ورعايتهم. يعتبر حب الأم العاطفي ورعايتها لأطفالها من أهم حقائق الحياة المسؤولة عن تقدم الجنس البشري على هذا الكوكب الارضي.

التستوستيرون – هرمون الذكورة للجنس والعدوان

من المعلوم الآن أن هرمون الذكورة، التستوستيرون، يزيد من العدوانية والمنافسة وتأكيد الذات، بينما الهرمون الأنثوي، الأستروجين، يقلل من العدوانية والمنافسة وتأكيد الذات.[52] في مثل هذه الحالة، كيف يمكن أن يكون لدينا اختلاط حر بين الجنسين في المجتمع؟ في حالة المجتمع المختلط بين الجنسين، سيحاول الجزء العدواني والتنافسي من المجتمع قمع الشريحة

[52] Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

الأقل عدوانية والأقل قدرة على المنافسة في المجتمع.

اكتشف علماء النفس التنموي أن الفتيان يبدون أكثر عداءً للضعفاء والمعوقين. بدلاً من التعاطف معهم، ينزعجون عندما يسمعون صرخات الألم. ومن ناحية أخرى، تميل الفتيات إلى الشعور بألم الضحية ويتعاطفن معها.[53] وفقًا لإحدى الدراسات التي أجريت على الشباب البريطاني، القتال جزء لا يتجزأ من حياة المراهقين الذكور.[54] تخبرنا إحصائيات الجريمة أن الرجال أكثر استعدادًا بخمسة أضعاف من النساء لارتكاب جرائم قتل في حالة غضب شديد وأنهم أكثر عرضة عشرين مرة للانخراط في السرقة.[55] إنّ وجود مستويات عالية من هرمون التستوستيرون يجعل الرجال عدوانيين. كما أن

[53] Moyer, Kenneth Evan “The biological basis for dominance and aggression” in: McGuiness, D. (ed.) (1987). Dominance, Aggression and War. New York, Paragon House. pp. 1-34.

[54] *Young People in the 80s*. quoted in: Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

[55] Garai, J. E. and Scheinfeld, A. (1968). "Sex Differences in Mental and Behavioral Traits." Genetic Psychology Monographs **77**: 169-299.

وجود نفس الهرمون يجعل الرجال أكثر شهوانيين للنساء. كما قال عالم الاجتماع ألفرد كينزي (Alfred Kinsey):

"يبدو أنه ليس هناك شك في أن الذكر البشري سيكون عنده علاقات ماجنة متعددة طوال حياته إذا لم تكن هناك قيود اجتماعية .... وأما الأنثى البشرية فأقل اهتمامًا بذلك".(56)

في ضوء هذه النتائج وغيرها، يمكننا أن نرى أنه من السهل جدًا إثارة الرجال جنسيًا بسبب طبيعتهم. لذلك حرم الإسلام الاختلاط الحر بين الرجل والمرأة. إن العدوانية والاختلاط بين الذكور تجعل من الصعب على الفتيان والفتيات الدراسةَ والتعلمَ معًا في بيئةٍ تعليميّةٍ مختلطةٍ كما سنرى في الفصل التالي.

[56] Kinsey, Alfred C., Pomeroy, Wardell B. & Martin, Clyde E. (1948). Sexual Behaviour in the Human Male. Philadelphia, W. B. Saunders.

الفصل الرابع

يتعلم الذكور والإناث تعلّمًا مختلفًا - فوائد التعليم أحادي الجنس

التعليم المختلط (Co-education) هو فكرة غريبة على المجتمع الإسلامي. فمنهج النبي ﷺ التعليمي لم يشمل التعليم المختلط؛ إذ نتعلم من سنته القولية والفعلية أنه خصص يومًا منفصلًا لتعليم الصحابيات. بل إن منهج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التعليمي تضمن تدريس الطلاب الذكور من وراء حجاب. والحق أن نظرةً سريعةً على التاريخ الإسلامي تُظهر أن المؤسسات التعليمية - حتى مستوى الجامعات - كانت منفصلةً بين الذكور والإناث، أو على الأقل كان الفصل بينهما هو السائد.

الحقيقة التي لا مفر منها هي أن التعليم المختلط نتاجٌ فكري غربي ومنظومته التعليمية. نشأ هذا النظام في أوائل القرن العشرين باسكتلندا، ثم تبنته عدد من المدارس الخاصة والحكومية في إنجلترا، قبل أن يعمم في المدارس والجامعات الأمريكية. وفي ستينيات القرن الماضي، بدأ أنصار الحركة النسوية الترويج لنموذج موسع من التعليم المختلط يسمح للمرأة ليس فقط بالعمل جنبًا إلى جنب مع الرجل في المجتمع، بل أيضًا بالجلوس معه في الصفوف الدراسية دون فواصل. لكن الغرب – بعد ثلاثين عامًا من التجربة – بدأ يشهد إخفاقات متتالية لنموذج التعليم المختلط، مما دفع بعض مفكريه لإعادة النظر جديًا في خيار التعليم أحادي الجنس.

يدرك الإسلام بعمقٍ الفروقَ بين الذكور والإناث فيما يتعلق بالتنمية النفسية. نص القرآن بوضوح على أن الذكور والإناث ليسوا متماثلين: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ (سورة آل عمران: 36)

إن الاختلاف المذكور في الآية يشير إلى الاختلافات الحيوية والعاطفية والنفسية بين الجنسين. ليس هناك شك في أن للرجال والنساء سمات حيوية مختلفة تؤدي إلى عدد من الاختلافات في أنماط التعلم والتطور الخاصة بهم طوال حياتهم. تم اكتشاف أن طفرة نمو الفتيات في مرحلة المراهقة أسرع من تلك التي تحدث عند الفتيان. تؤثر العمليات الحيوية حقًا على الميول النفسية وتأثُّرها.

في هذا الفصل، سيتم عرض الآثار السلبية للتعليم المختلط وفوائد التعليم أحادي الجنس بإيجاز في ضوء الدين والعلم الحديث.

الأضرار النفسية للتعليم المختلط

إن وضع الفتيان والفتيات في نفس الصف قد يكون ضارًا لكليهما، نفسيًا وبيولوجيًا. يصف الإمام ابن حزم الأندلسي (المتوفّي 456 هجري)، في كتابه "طوق الحمامة في الأُلفة والأُلّاف"، الذي يتحدث عن العشق والعشاق، وبعض الأمور التي تظهر في التجمعات المختلطة بين النساء والرجال. يقول:

"وشيء أصفه لك تراه عيانـًا، وهو أنّي ما رأيت قط امرأةً في مكان تحسّ أنَّ رجلاً يراها أو يسمع حسها إلا وأحدثت حركة فاضلة كانت عنها بمعزل، وأتت بكلامٍ زائدٍ كانت عنه في غنية، مخالفين لكلامها وحركتها قبل ذلك. ورأيت التهمم لمخارج لفظها وهيئة تقلبها لائحـًا فيها ظاهراً عليها لا خفاء به. والرجال كذلك إذا أحسوا بالنساء. وأما إظهار الزينة وترتيب المشي وإيقاع المزح عند خطور المرأة بالرجل واجتياز الرجل بالمرأة فهذا أشهر من الشمس في كل مكان."[57]

فالإمام ابن حزم يقصد أن الرجل عندما يشعر بوجود نساء أجنبيات يستمعن إليه، فإنه يقول أو يفعل أشياء غريبة ويتحدث عن أشياء غير ضرورية. وبالمثل فإن المرأة ترتكب مثل هذه الأفعال أو تقول أشياء عندما تشعر أنها في حضرة رجال أجانب. في الواقع، يدعم العلم ما ذهب إليه ابن حزم قديمًا.

---

[57] الإمام ابن حزم الأندلسي. "طوق الحمامة في الألفة والألاف" دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. 2004 الميلادي

يلاحظ المفكر الأمريكي جورج جيلدر (George Gilder) في كتابه "الرجال والزواج" (Men & Marriage) أن الفتيان والفتيات يصلون إلى سنّ البلوغ مبكّرًا عندما يكونون في بيئة تعليمية مختلطة. إذ يزداد إنتاج هرمون الذكورة، يعني التستوستيرون، أكثر 20 مرة عن المعدل الطبيعي لدى المراهقين الذكور، ونتيجة لذلك، يعانون من اضطرابات نفسية وجنسية شديدة. كذلك تزداد هرمونات الأنوثة عند الفتيات في مرحلة النضج الجسدي (المراهقة)، مما قد يؤدي إلى الخمول والاكتئاب. مع بداية هذه المرحلة العمرية، تَنشط منطقة الجهاز الحُوفي في الدماغ بسبب التغيرات الهرمونية، مما يُؤثّر على تصرفات الذكور والإناث. خلال هذه الفترة، يُركّز كثير من المراهقين على التفكير في الجنس الآخر. كتب جورج جيلدر بوضوح:

"أولاً والأهم، يفكر معظم الفتيان وعدد كبير من الفتيات في الجنس الآخر معظم الوقت. إذا كنت لا تصدق هذا، فأنت حالم". [58]

[58] Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

وعلى نفس المنوال، أشار الدكتور بروس كوك (Bruce Cook)، مدير مدرسة ساوثبورت في جولد كوست (Southport School Gold Coast)، إلى تجربته في ادارة مدرسة كبيرة:

"لا يعاني الفتيان في المدارس أحادية الجنس من حضور دائم الفتيات لتذكيرهم بنظرة الفتيات لهم. فيقول في نفسه، "هل أبدو جيدًا بالنسبة للفتيات؟""[59]

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن مشاعر الرجال والنساء تجاه بعضهم بعضًا تبقى كما هي في الكليات والجامعات. في المؤسسات التعليمية حيث يوجد تعليم مختلط، تكون علاقات الحب والتودد أمرًا شائعًا.

---

59 West, Andrew (July 6, 2003) “The boys who will be gentlemen” Sydney Morning Herald

يتعلم الذكور والإناث بطريقة مختلفة

قامت الدكتورة هاريوت هانلان (Harriot Hanlan)، عالمة في جامعة فرجينيا للتكنولوجيا (Virginia Tech University) في الولايات المتحدة الأمريكية، بتحليل نشاط دماغ الذكور والإناث وهو جزء من بحثها الذي أجرته على 284 ذكر و224 أنثى تتراوح أعمارهم بين 6 أشهر و16 عامًا. كانت هذه الدراسة واحدة من أكبر الدراسات من نوعها وأكثرها دقّة. وأظهرت الدراسة أن مناطق مختلفة من الدماغ تتطور تطورًا مختلفًا عند الفتيات مقارنة بالفتيان. تلك المناطق من الدماغ التي تتطور في أوقات ومعدلات مختلفة بين الذكور والإناث كالمناطق المعنيّة باللغة، والمهارات المكانيّة، والتنسيق الحركي، إلخ. فالفتيات أكثر تقدُّمًا بما يعادل ست سنواتٍ مقارنةً بالذكور بتلك المراكز في الدماغ. من ناحية أخرى، فالذاكرة المكانيّة للصبيان أكثر

تقدمًا بما يعادل 4 سنوات من البنات، فيتعلمان اللغات والرياضيّات والجغرافيا تعلمًا مختلفًا.[60]

باختصارٍ، ما يهمّ حقًا هنا هو أنّ هذه الاختلافات التنموية غالبًا ما تقود المعلمين وأولياء الأمور إلى تهميش الفتيان لأنّهم بطيئون أو بزعم أنهم أغبياء وزرع بذور الكراهية للمدرسة لدى هؤلاء الصبيان في وقت مبكّرٍ من الصفِّ الأوّل. كما لاحظت الفيلسوفة الأمريكية كريستينا هوف سومرز (Christina Hoff Sommers) في كتابها "الحرب ضد الفتيان" (The War against Boys):

" تظهر مراجعة الحقائق أنّ الصبيانَ -لا البناتِ-، هم في الجانب الضعيف من الفجوة التعليمية بين الجنسين. يتأخّر الفتيان وسطيًا

---

[60] Hanlon, Harriet, Robert Thatcher and Marvin Cline (1999). "Gender Differences in the Development of EEG Coherence in Normal Children." Developmental Neuropsychology **16(3)**: 479-506.

بسنةٍ ونصف عن الفتيات في القراءة والكتابة؛ هم أقل التزامًا بالمدرسة وأقل احتمالية للالتحاق بالجامعة ".[61]

وبالتالي، فإن هؤلاء الأولاد الذين تم تثبيطهم في سن مبكرة أثناء دراستهم تتطور لديهم مشاعر سلبية تجاه المدرسة مما قد يشوّه وجهة نظرهم حول التعليم والمدرسة لبقية حياتهم. أظهرت البروفيسورة ديبورا ستيبك (Deborah Stipek)، عميدة كلية التربية بجامعة ستانفورد (Stanford University) الآن، وزميلتها تريشيا فاليسكي (Tricia Valeski)، في بحثهما أن الصبيان الذين يفشلون في الأداء الجيد في رياض الأطفال يتخذون تصوّرات سلبيةً عن الكفاءة، ويصفون عكس تلك المواقف السلبية أثناء مسارهم الدرسي.[62]

---

[61] Sommers, Christina Hoff (2000). The War against Boys. New York, Simon & Schuster.

[62] Valeski, Tricia & Deborah, Stipek (2001). "Young Children's Feelings about School." Child Development **72(4)**: 1198-1213. Quoted in: Why Gender Matters by: Leonard Sax, M.D., Ph.D.

وتزداد فجوة الاختلافات في التعلم بين الأولاد والبنات بمرور الوقت – وهذا أكثر وضوحًا في بيئة التعليم المختلط. في ظل هذه الظروف، يتساءل المرء كيف يمكن وضع الجنسين في نفس الفصل الدراسي للتعلم؟

الفتيان والفتيات يسمعون بشكل مختلف

في الدراسات البحثية التي أجريت على مدار الأربعين عامًا الماضية، أظهر العلماء منذ الطفولة، أن حاسة السمع لدى الإناث أفضل بنحو أربع مرات من القدرة السمعية لدى الذكور. وتم تأكيد هذه النتيجة في بحث أجراه عالمتان، جين كاسيدي (Jane Cassidy) وكارين ديتي (Karen Ditty)، ونشر في مجلة العلاج بالموسيقى في عام 2001. عندما أجرت هاتان العالمتان دراسة على 350 مولودًا جديدًا، وجدوا أن الإناث الصغيرات يتمتعن بقدرة سمعية أفضل من الذكور في نفس العمر.[63] هذا الاختلاف في القدرات السمعية

[63] Cassidy, Jane & Ditty, Karen (2001). "Gender differences among newborns on a transient otoacoustic emissions test for hearing." Journal of Music Therapy **38**: 28-35.

للذكور والإناث له آثار عميقة أثناء تعليمهم. على سبيل المثال، في فصل دراسي مختلط بين الجنسين، إذا كان المعلم يتحدث بصوت لطيف ومنخفض، فسوف ينخرط الذكور في أعمال عدوانية لأنهم لا يستطيعون سماع المعلم ، وإذا تحدَّثَ بصوتٍ عالٍ حتى يتمكنوا من سماعه، فإن الإناث (اللواتي يتمتعن بحاسة سمع أقوى أربع مرات من الذكور) سيشعرن كما لو أنَّ المعلم يحفر في آذانهن.

الباحث الأمريكي ليونارد ساكس (Leonard Sax, M.D., Ph.D.) الذي يمتلك درجة الدكتوراه في الطبّ وأيضا درجة الدكتوراه في البحوث العلمية، هو مؤسس ومدير الرابطة الوطنية للتعليم العام للجنس الأحادي، ومؤلف كتاب "لماذا الجنس مهم"، وهو طبيب الأسرة وطبيب نفساني، يجادل أنه بسبب الاختلافات الجوهرية بين الفتيان والفتيات، يمكن أن يصبح من المستحيل لكلا الجنسين التعلم بنجاح في الفصل الدراسي معًا. في إحدى المقابلات، أشار الدكتور ساكس إلى أن كل أسلوب تعليمي نتخذه في الفصول المختلطة سيفيد أحد الجنسين وسيضر بالآخر. وأضاف أيضًا أنه نظرًا لأن

الفتيات يسمعن أفضل من الفتيان، فإن أحد أسباب تخلف الفتيان هو ببساطة أنهم لا يستطيعون سماع المعلم في الفصل الدراسي.[64]

"بالإضافة إلى ذلك، في ورقة مراجعة حديثة حول دراسات الفروق الجنسية في السمع وتطبيقاتها العملية على التعليم الصفي، لاحظ الدكتور ساكس أن:

"الطالب الذكر العادي قد يحتاج إلى أن يتحدث المعلم بصوت أعلى - بأقرب من 6 إلى 8 ديسيبل - ليتمكن من سماعه بنفس وضوح الطالبة الأنثى."[65]

ومن الجلي أن مثل هذه المشكلات لا وجود لها في الفصول الدراسية أحادية الجنس.

---

64 Horsey, Jen. "Boys continue to struggle with reading and writing". Toronto (CP) Quoted in: (www.singlesexschools.org)

65 Sax, Leonard (2010). "Sex Differences in Hearing: Implications for best practice in the classroom." Advances in Gender and Education **2**: 13-21.

تستجيب أدمغة الفتيان والفتيات للتوتر بشكل مختلف

في الآونة الأخيرة، أجرت الباحثة تريسي شورز (Tracey Shores) من جامعة روتجرز (Rutgers University) (الولايات المتحدة الأمريكية) وزملاؤها دراسة على أدمغة الذكور والإناث. بعد الدراسة، خلصوا إلى أن طبيعة دماغ الرجل تزيد من قدرته على التعلم عندما يكون تحت الضغط، في حين أن القدرة التعليمية لدماغ الأنثى تضعف وتنخفض عندما تتعرض للإجهاد.(66)

ومن المثير للاهتمام، في دراسة أخرى، أن الدكتورة شورز وزملاؤها في جامعة روتجرز وبرينستون وروكفلر أظهروا أنّ حيوانات المختبر تظهر أيضًا اختلافات بين الجنسين في التعلم أثناء وجودها في مواقف عصيبة. أظهر بحثهم

---

[66] Shores, Tracey J. & Miesegaes, George (Oct. 15, 2002). "Testosterone *in utero* and at birth dictates how stressful experience will affect learning in adulthood." Proceedings of the National Academy of Sciences **99**: 13955-13960.

أن الإجهاد يحسن القدرة على التعلم لدى ذكور الحيوانات بينما يمنع الإجهاد التعلم عند إناثها.[67]

تشير هذه النتائج إلى أن الأولاد يحتاجون إلى الانضباط وبيئة منفصلة بين الجنسين من أجل شحذ قدراتهم. على العكس من ذلك، تتطلب الفتيات بيئة متساهلة للدراسة. ويرجع ذلك أيضًا إلى حقيقة أن الفتيات، سواء كُنَّ صغيرات أم كبيرات، بارعات في قراءة الوجه. في بحث نُشر في مجلة علم النفس الوراثي (Journal of Genetic Psychology)، قامت مجموعة من الباحثين في كلية ويليسلي (Wellesley College) بدراسة على الأطفال الصغار وجدوا أن الإناث في منتصف السنة الثالثة من عمرهن لديهن القدرة على تفسير تعبيرات الوجه بشكل أفضل من الذكور في سن الخامسة. من الواضح أن هذه النتيجة تشير إلى أن الفتيات يمكنهن الحكم على علامات

[67] Wood, Gwendolyn & Shores, Tracey J. (1998). "Stress facilitates Classical Conditioning in Males, but Impairs Classical Condition in Females through Activational Effects of Ovarian Hormones." Proceedings of the National Academy of Sciences **95**: 4066-4071.

الغضب والتهيج على وجه المعلم. على العكس من ذلك، فإن الذكور ضعيفون جداً في هذه القدرة، وبالتالي يحتاجون إلى شدّة.[68]

التأثيرات المهلكة طويلة المدى للتعليم المختلط

في 26 مايو 2003، طبعت مجلة بيزنس ويك (Business Week) مقالاً مؤثراً بعنوان "الفجوة الجديدة بين الجنسين" (The New Gender Gap) بقلم الصحفية ميشيل كولينز. في ذلك، أشار كولينز إلى أنه كان هناك انخفاض مستمر في تعليم الرجال في العشرين عامًا الماضية. في الدول الغربية، لا يلتحق قسم كبير من الأولاد بالجامعة بعد إنهاء مدارسهم الثانوية. توضح أن السبب يكمن في حقيقة أن التعليم المختلط يوفر بيئة تعليمية غير طبيعية وأنثوية في كثير من الأحيان، ونتيجة لذلك، يصاب العديد من الأولاد بخيبة أمل ويفقدون تركيزهم على التعليم. حتى أن بعضهم يتفاعل بطرق سلبية عندما يحاولون إظهار رجولتهم من خلال ارتكاب الجرائم واللجوء إلى العنف. ومنذ عام

[68] Boyatzis, Chris, Chazan, E. & Ting, C.Z. (1993). "Preschool children's decoding of facial emotions." Journal of Genetic Psychology **154**: 375-382.

1970، مع زيادة عدد مدارس التعليم المختلط في الولايات المتحدة، ارتفعت معدلات الانتحار بين الشباب بمقدار ثلاثة أضعاف.[69]

وما زاد الطين بلة، تعامل المعلمين في البيئة المختلطة مع الذكور الذين لا يجلسون في مكان واحد للتعلم مقارنة بالإناث، فإنهم عادة ما يعتبرونهم مصابين بالمرض المعروف باسم ADD (Attention Deficit Disorder) (اضطراب نقص الانتباه) وينتهي الأمر ببعض هؤلاء الأطفال بتناول عقاقير مثل "ريتالين" (®Ritalin) (الاسم كيماوي: Methylphenidate). حيث يتم إعطاء حوالي 80٪ من الريتالين المستخدم في العالم كله للأطفال "الذين تم تشخيصهم" بمرض ADD في الولايات المتحدة الأمريكية. ويحدث هذا أيضًا أثناء قيادة الولايات المتحدة الأمريكية العالم في مجال التعليم المختلط. والأسوى من ذلك هو أن استخدام عقار الريتالين قد ازداد بنسبة 500٪ خلال العقد الماضي، مما دفع بعضهم إلى تسميته بأداة الإدارة الجديدة من رياض

---

69 Conlin, Michelle (March 26, 2003). The New Gender Gap: From kindergarten to grad school, boys are becoming the second sex. (Cover story) BusinessWeek online.

الأطفال حتى الصف الثاني عشر. يرى البروبيسور لبول آر وولب (Paul R. Wolpe) وهو أستاذ وباحث في الطب النفسي في جامعة بنسلفانيا، أنه في المناطق التعليمية حيث يتعاطى 20٪ إلى 25٪ من الأولاد هذا الدواء. يلاحظ وولب أن "**الريتالين هو استجابة لسياق اجتماعي مصطنع أنشأناه للأطفال.**"[70] وفي رأيهِ: الأطفال ليسوا هم المرضى، بل إن نظام التعليم المختلط هو المريض وهذا النظام بحاجة إلى العلاج. وما لا يدركه معظمنا هو الوضع المروّع للأطفال الذين يعانون من ظروف نفسية وعاطفية أسوأ في العديد من دول العالم الثالث التي تتبع أنظمة التعليم المختلط.

نظرًا لأن البيئات التعليمية المختلطة تخلق حالات مماثلة من الاكتئاب وعدم التركيز لدى هؤلاء الأطفال، فإنهم يظهرون سلوكًا مشابهًا لسلوك الأطفال في المدارس الأمريكية، ولكن بدلاً من الحصول على عقار الريتالين، ينتهي بهم الأمر بالعقاب البدني القاسي. يفترض المعلمون أنّ هؤلاء الأطفال لا يحبون

[70] Conlin, Michelle (March 26, 2003). The New Gender Gap: From kindergarten to grad school, boys are becoming the second sex. (Cover story) BusinessWeek online.

التعلم أو احترام انضباط المدرسة، لذلك يعاقبونهم بقسوة متزايدة لفرض الانضباط وتغيير سلوكهم.

ويبقى سؤال آخر: عندما يُفرض نظام التعليم هذا على الأطفال من أجل تعليمهم مدى الحياة، ما مدى هذا الضرر، وكم التكلفة؟

هناك العديد من القيود المفروضة على المدارس المختلطة. بحكم طبيعتها، المدارس المختلطة يجعل الذكور والإناث سواءً لأنه، كما أوضحنا في هذا الفصل وكذلك الفصل السابق، يتعلم الأولاد والبنات بشكل مختلف. تتطور مناطق الدماغ المختلفة للفتيان والفتيات في أوقات وتسلسلات مختلفة. لا يمكن تطوير مدرسة لتلبي احتياجات أحد الجنسين دون الإضرار بالجنس الآخر. كما قال أندرو هانتر، المعلم السابق الذي أتيحت له الفرصة للتدريس في المدارس المختلطة وكذلك في المدارس أحادية الجنس: **"التدريس في فصل دراسي مختلط يشبه تدريس فصلين في وقت واحد."(71)**

---

71 Buie, Elizabeth (Nov 21, 2000). “Today’s Sexual Evolution”. *Glasgow Herald*. pg. 16, Glasgow. Quoted in: Why Gender Matters by: Leonard Sax.

نوع الفرق	الفتيات	الفتيان
البيئة التعليمية	تظهر الأبحاث أن الفتيات بحاجة إلى بيئة دراسية مرنة وهادئة بسبب طبيعة أدمغتهن.	الفتيان يحتاجون إلى الانضباط وبيئة منفصلة للجنس لتطوير قدراتهم.
الإدراك العاطفي	الفتيات بعمر 3.5 سنوات قادرات على تفسير تعابير الوجه التي تدل على الغضب أو الانزعاج بسهولة.	الفتيان، حتى في عمر 5 سنوات، يواجهون صعوبة في تفسير تعابير الوجه ويحتاجون إلى التوجيه المباشر.
التطور المعرفي	مراكز الدماغ المتعلقة بالقدرات اللغوية لدى الفتيات متقدمة بـ 6 سنوات مقارنة بالأولاد في نفس العمر.	الذاكرة المكانية للفتيان متقدمة بـ 4 سنوات مقارنة بالفتيات في نفس العمر.
حساسية السمع	قدرة السمع لدى الفتيات أفضل بأربع مرات من الأولاد منذ الطفولة، وهن أكثر راحة مع أصوات ناعمة.	قدرة السمع لدى الفتيان أقل بأربع مرات، ويستجيبون بشكل أفضل للأصوات العالية.
السلوك في الفصل الدراسي	الفتيات يستطعن الجلوس بهدوء والتركيز في الدراسة دون الحاجة إلى رقابة شديدة.	الفتيان، بسبب نشاطهم العالي واندفاعهم، يجدون صعوبة في الجلوس والتركيز في الفصل.

التحرش الجنسي الذي تتعرض له الفتيات في المدارس المختلطة

في عام 1993، أجريت دراسة استقصائية على الفتيات في سن المدرسة من قبل مجلة Seventeen. في الاستطلاع، أفادت أكثر من 4200 فتاة في سن الدراسة أنّهنّ "تعرّضن للقرص أو المداعبة أو تعرضهن لإشارات موحية جنسيًا في المدرسة، معظمهن ... بشكل متكرّر وعلني". تابع باحثون من كلية ويليسلي (Wellesley College)، من ولاية ماساتشوستس في أمريكة استطلاع المجلة وأكدوا النتائج التي توصلوا إليها في المجلة. وجد باحثو كلية ويلسلي أن:

"ما يقرب من 40٪ من الفتيات أبلغن عن تعرضهن للتحرش الجنسي يوميًا، وقال 29 بالمائة أنّهنّ تعرّضن للتحرش أسبوعيًا. قال أكثر من الثلثين إن المضايقات حدثت على مرأى من أشخاص آخرين. ما يقرب من 90 في المائة كانوا هدفًا لتعليقات أو إيماءات جنسية غير مرغوب فيها."(72)

[72] Sege, Irene (March 24, 1993). "A U.S. Survey Shows Wide Harassment of Girls in School". Boston Globe. Boston.

من النتائج الطبيعية لمثل هذا التحرش الجنسي الذي تواجهه الفتيات في مدارس التعليم المختلط تراجع اهتمامهن بالذهاب إلى المدرسة تمامًا. بعد سماع العديد من الروايات عن التحرش من قبل الفتيات المراهقات اللاتي تعمل معهن، لاحظت ماري بيفر (Mary Pipher) أنَّ عددًا متزايدًا من الفتيات "الرافضات للمدرسة" (school refusers)، فتيات "يخبرنني أنهن ببساطة لا يمكنهن مواجهة ما يحدث لهن في المدرسة".[73]

ارتفاع معدلات حمل المراهقات في المدارس المختلطة

إن دمج الفتيان والفتيات - بعد وصولهم لسن المراهقة وارتفاع مستويات الهرمونات الجنسية - في بيئة واحدة هو بلا شك فكرة غير صحية من الناحية الأخلاقية. ويشير الدكتور ساكس إلى أنه في كل مدرسة بنات زارها، اتفق

---

73 Pipher, Mary (1994). Reviving Ophelia: Saving the Selves of Adolescent Girls. New York, Ballantine Books.

المعلمون والإداريون والمرشدون – والأهم الطالبات أنفسهن – على حقيقة واحدة: **أن معدلات الحمل غير المرغوب فيه بين المراهقات في مدارس البنات أقل بكثير مقارنة بالمدارس المختلطة المجاورة.**

لتوضيح وجهة نظره، يقدم الدكتور ساكس مثال مدرسة جيمس لينش الثانوية في مونتريال (James Lynch High School, Montreal). اعتادت هذه المدرسة أن تكون مدرسة مختلطة ولكن قبل خمس سنوات، قام مديرها واين كومرفورد (Wayne Commerford) بتحويل المدرسة إلى مؤسسة أحادية الجنس. تم تخصيص فصول للفتيات فقط ووضع الفتيان في فصول مخصصة لهم فقط. فانخفض التغيب بمقدار الثلثين وتحسنت الدرجات في الاختبارات الموحدة بفارق كبير في تلك الفئات أحادية الجنس. بالإضافة إلى هذه الفوائد، هناك حقيقة أخرى مدهشة قالها السيد كومرفورد للدكتور ساكس، وهي أن معدل حمل المراهقات انخفض انخفضًا كبيرًا بعد التغيير إلى فصول الجنس الواحد – من حوالي خمس عشرة فتاة سنويًا قبل التغيير إلى حوالي اثنتين

الفتيات في السنة بعد التغيير.[74]

ما هو سبب انخفاض احتمالية حمل المراهقات عندما تذهب الفتيات إلى مدارس البنات فقط؟ بصرف النظر عن الأسباب الواضحة، هناك أسباب نفسية واجتماعية عميقة. في مدرسة مختلطة، إذا رفضت الفتاة ممارسة الجنس مع صديقها، فهذا لا يعرض علاقتها بصديقها للخطر فحسب، بل يعرض هويتها الاجتماعية في المدرسة للخطر.

بالعكس، في المدارس أحادية الجنس، خلال ساعات الدراسة، لا تشعر الفتاة بضغط الأقران الذي يدفعها إلى البحث عن صديق لها. لديها سيطرة أكبر على اتخاذ قراراتها الجنسية. من الأسهل عليهم تخيل الحياة بدون صديق. ومن ثم، فإن الفتيات في المدارس أحادية الجنس أقل عرضة للانخراط في الجنس قبل الزواج وأقل عرضة للحمل بسبب ممارسة الجنس قبل الزواج.

---

74 Sax, Leonard M.D., Ph.D. (2005). Why Gender Matters: what parents and teachers need to know about the emerging science of sex differences. New York, Broadway.

البراهين العملية لنجاح التعليم أحادي الجنس

بعد تجربة الآثار الضارة للتعليم المختلط، بدأت العديد من البلدان في الغرب مؤخرًا في تجربة نظام التعليم أحادي الجنس. أشارت الغالبية العظمى من الأشخاص المتأثرين بهذا التغيير إلى أن رؤية التغييرات التي أحدثها تطبيق نظام التعليم أحادي الجنس في مدارسهم واختبارها ساعدتهم على تقدير الفكرة وفهمها بشكل أفضل. حوّل بنجامين رايت (Benjamin Wright)، مدير مدرسة ثورغود مارشال الابتدائية في (Thurgood Marshall Elementary School) سياتل، واشنطن (Washington)، مدرسته المختلطة سابقًا إلى مدرسة بها فصول دراسية منفصلة الجنس.

أشار السيد رايت (Mr. Wright) إلى أن التعليم المختلط كان يستنفذ معظم وقت المعلمين في حل المشكلات الناجمة عن تسلط الأولاد على البنات والعكس. أما في بيئة التعليم المنفصل للجنسين، فقد أصبحوا فعليًا يُعلّمون الأطفال المعرفة الأكاديمية.

وأشار السيد رايت أيضًا إلى أنه في الامتحانات على مستوى الولاية التي عقدت في واشنطن في عام 2002 (تقييم واشنطن لتعلم الطلاب) (The Washington Assessment of Student Learning)، إلى أنّ الفتيان الذين كانوا في السابق في نظام تعليمي مختلط وكانوا يحصلون على 10٪ فقط، أن درجاتهم ارتفعت إلى 73٪ بعد التحول إلى التعليم غير المختلط - وهو إنجاز رائع.

شهادات وأدلة من جميع أنحاء العالم

بدأت المدارس أحادية الجنس تحظى بشعبية كبيرة في العديد من الدول الغربية بما في ذلك أستراليا ونيوزيلندا والمملكة المتحدة وكندا وجامايكا وأيرلندا. فيما يلي بعض الأمثلة على تلك الدول الغربية بالإضافة إلى مثال واحد من بلد مسلم (المملكة العربية السعودية) حيث يتم إجراء التعليم بنجاح في نظام الفصل الدراسي أحادي الجنس.

الولايات المتحدة الأمريكية

في عام 2001، قامت السناتور الأمريكي كاي بيلي هاتشيسون (Kay Bailey Hutchison) في جهد مشترك مع السيدة الأولى السابقة هيلاري كلينتون (Hillary Clinton) بصياغة تشريع جديد يشرع التعليم أحادي الجنس في المدارس العامة الأمريكية. أقر مجلس الشيوخ الأمريكي نظامهم الأساسي بالإجماع وجعله قانونًا. منذ ذلك الحين، ازداد عدد المدارس التي تقدم تعليمًا أحادي الجنس (single-sex education) في الولايات المتحدة خمسة أضعاف. على سبيل المثال، كان عدد المدارس الأمريكية التي تقدم تعليمًا أحادي الجنس أقل من 24 في عام 2001. وبحلول مايو عام 2022، قفز عددها إلى 360 مدرسة أحادية الجنس.[75][76]

[75] Kenneth Jost, Single-Sex Education: Do all-boy and all-girl schools enhance learning? 12 CQ RESEARCHER 569, 569 (2002), https://perma.cc/D355-FJBY.
[76] Grace Chen, Single-Sex Public Schools, PUB. SCH. REV. (May 20, 2022), https://perma.cc/9X5L- VVA3.

وقد سعت العديد من المناطق التعليمية إلى توسيع دائرة مدارس الجنس الواحد، خاصة في المدارس الثانوية. فعلى سبيل المثال، في عام 2006، افتتحت في دائرة المدارس العامة في مقاطعة ميامي ديد (Miami-Dade County) مدرستان غير مختلطة: الأكاديمية التحضيرية للشابات وأكاديمية الشبان التحضيرية. تفاخرت مدرستا Magnet- اللتان تسجلان طلابًا من جميع أنحاء المقاطعة - بدرجات اختبار ومعدلات حضورٍ أعلى من المتوسط ، ووضعت الطلاب على المسار الصحيح لحضور كليات من الدرجة الأولى مثل Wellesley وNorth Carolina وDuke. تشير الأبحاث إلى أن الفتيات والفتيان لديهم بنية طبيعية مختلفة، وتتطور أدمغتهم بمعدلات مختلفة. قالت مونيكا داولينج (Monica Dowling)، عالمة نفس الأطفال بجامعة ميامي:

"هناك دليل على أن المهارات اللغوية تتطور تطورًا أسرع عند الفتيات. نحن نعلم أيضًا أن الفتيان بحاجة إلى مزيد من الحركة. إنهم لا يحبون الجلوس والتحدث عن المشاعر."[77]

[77] *Tampa Bay Online*, Published December 20, 2010.

ومن ثم، فإن المدارس التي تفصل بين الجنسين تعمل على تمكين الفتيات وكذلك الفتيان.

جامايكا

جامايكا دولة جزيرة تقع في البحر الكاريبي. التعليم أحادي الجنس شائع جدًا في جامايكا. في دراسة كبيرة للمدارس الجامايكيّة نُشرت دراسةٌ في عدد 1985 من المجلة الدولية لتعليم العلوم، تبيّن أنّ أداء الفتيات في المدارس الثانوية أحاديّة الجنس كان أفضل بكثير في الرياضيات والعلوم مقارنة بالفتيات اللائي كنّ يدرسن في التعليم المختلط في المدارس الثانوية في جامايكا. وخلصت الدراسة إلى أنّ:

> **"تأثيرات التنميط الجنسي أكثر وضوحًا في بيئة التعليم المختلط، حيث يبدو أن هناك حاجة أقوى للتمييز بين الجنسين. لذلك، على الرغم من أن الفتيات في المدارس المشتركة يمكنهن دراسة مواد مثل الرياضيات والعلوم، إلّا أنّهنّ أكثر عرضة للشعور بأن هذه المواد ليست للفتيات**

وأنها صعبة للغاية بالنسبة لهن، مقارنة بالفتيات في المدارس المخصصة للبنات فقط." (78)

دراسة أخرى مثيرةٌ للاهتمام تؤكد هذا الخلاف، وقد أجريت في بريطانيا من قِبَلِ لوري وبراون (Lawrie and Brown) الذين استطلعوا آراء 284 طالبا من الفئة العمرية 14-15. ونتائج الدراسة التي نشرت في عدد عام 1992 من المجلة البريطانية لعلم النفس التربوي، توصل إلى نتائج مماثلة للبحث المذكور أعلاه. وجد Lawrie وBrown أن الطلاب في جميع مدارس البنات أفادوا أنهم استمتعوا بدراسة الرياضيات أكثر، ووجدوا الرياضيات أقل صعوبة، مقارنة بالفتيات اللائي اِلتحقن بالمدارس المختلطة. فاحتمالية

78 Hamilton, Harriet (1985). "Performance levels in science and other subjects for Jamaican adolescents attending single-sex and Coeducational high schools." International Journal of Science Education **69**(4): 535-547.

تفضّيل الفتيات للرياضيات في مدارس البنات أكثر بضعفين من المدارس المختلطة.(79)

كندا

مثال آخر على نجاح التعليم أحادي الجنس يأتي من مدرسة جيمس لينج الثانوية الداخلية (James Lyng High School) في مونتريال، كندا (Montreal, Canada) والتي كانت مؤسسة تعليمية مختلطة في الماضي. قبل خمس سنوات، تم إدخال الفصول الدراسية أحادية الجنس في المدرسة، ومنذ ذلك الحين، انخفض تغيّب الطلاب، وزادت درجات النجاح وتضاعف عدد الطلاب الذين ينتقلون من مدرسة إلى الكلية تقريبًا. كل هذا يرجع إلى نعمة التعليم أحادي الجنس.(80)

---

79 Lawrie, L. & Brown, R. (1992). "Sex stereotypes, school subject preferences and career aspirations as a function of single/mixed-sex schooling and preference/absence of an opposite sex sibling." British Journal of Educational Psychology **62**: 132-138.

80 Horsey, Jen “Boys continue to struggle with reading and writing”. (Toronto (CP) Quoted in: (www.singlesexschools.org)

شهادتنا التالية من كندا مأخوذة من تقرير نشرته صحيفة Montreal Gazette في عددها الصادر في أكتوبر 1999 بعنوان: "لنفصل بين الأولاد والبنات في الصفوف" (Let's Separate Boys, Girls in Classes). تتناول هذه المقالة الأبحاث التي أجراها المجلس التعليمي العالي لمدينة كيبيك (Superior Educational Council of Quebec) وتوصيتها النهائية للحكومة الكندية التي تنصحها بإنهاء التعليم المختلط في مدارسها العامة وجعلها تتبنى النظام القديم لأربعينيات القرن الماضي عندما فصلت المدارس الذكور عن الإناث بل جعل مداخل منفصلة للبنين وأخرى للبنات للمباني المدرسية. ونقلت عن رئيسة هذا المجلس التربوي، سيلين سان بيير (Celine Saint-Pierre)، قولها:

"هناك الكثير من الأدلة على أن الأولاد والبنات يتعلمون تعلمًا مختلفًا". (81)

---

81 Zacharias, Yvonne (Oct. 14, 1999). “Let's separate boys, girls in classes: report”. The Montreal Gazette. (www.montrealgazette.com/news)

وأضافت أيضًا أن التعليم يجب أن يكون قائمًا على نوع الجنس، وإلا فإن الأولاد والبنات سيظلون أضعف في دراستهم وسيتعين على مجتمع كيبيك أن يعاني من عواقبه المريرة في المستقبل. بالإضافة إلى ذلك، أفاد المقال بأن المجلس قلق للغاية بشأن حالة التعليم في المحافظة. نقلاً عن بيانهم أن

> **"مدينة كيبيك تتجه نحو أزمة اجتماعية، وهو وضع لا يتمكن فيه الذكور من الحصول على وظائف في اقتصاد قائم على المعرفة".(82)**

أستراليا

في يوليو 2003، عُقد مؤتمر للخبراء التربويين في سيدني، أستراليا، حيث قدم العديد من المتحدثين أدلة على أن الأولاد الذين تلقوا تعليمهم في مدارس أحادية الجنس يبدو أنهم أفضل من حيث النضج والتكيف الاجتماعي من الأولاد الذين يحضرون مدارس التعليم المختلط. أخبر الدكتور بروس كوك

---

[82] المرجع نفسه.

(Dr. Bruce Cook)، مدير مدرسة ساوثبورت في جولد كوست (Southport School on the Gold Coast)، الجمهور بتجاربه وملاحظاته أن الأولاد الذين تلقوا تعليمهم في المدارس أحادية الجنس يثبت أنهم أزواج أفضل في المستقبل بسبب غياب الفتيات من حولهم في المدارس. والجامعات، لا يتعين عليهم تبني موقف "ذكوري" كما أشار:

"في التعليم المختلط، يميل الأولاد إلى تبني موقف شبه ذكوري بسبب وجود الفتيات. ويشعرون أنه يتعين عليهم إظهار رجولتهم الناشئة بِردّات الفعل الذكورية. ومن ثم، فإن الأولاد في المدارس أحادية الجنس يصبحون رجالًا أكثر حساسية".[83]

83 West, Andrew (July 6, 2003) “The boys who will be gentlemen” <u>Sydney Morning Herald</u>

المملكة العربية السعودية

من السمات البارزة للنظام التعليمي في المملكة العربية السعودية الفصل بين الجنسين. وإحدى طرق تحقيق ذلك هي من خلال استخدام التعليم عن بُعد (videoconferencing). وهذا يعفي الفتيات والنساء من السفر لمسافات طويلة ويسمح لهن بالسعي للحصول على التعليم في راحة منازلهن أو في فصل دراسي خاص بالفتيات مع طالبات أخريات. وقد نشأت طريقة عقد المؤتمرات عبر الفيديو في البداية بسبب نقص الأساتذة الإناث. إلا أنها حققت نجاحًا كبيراً حتى أنها أصبحت الآن تمارس على نطاق واسع في النظام التعليمي بالمملكة العربية السعودية. وتسمح هذه الطريقة بالتعليم دون أن يلتقي المعلم والطلاب وجهًا لوجه.[84] يذكر عبدالسلام نقشبندي في مقاله

[84] Mackey, Sandra (2002). The Saudis: Inside the Desert Kingdom. New York, W.W. Norton & Company. *Quoted in:* Baki, Roula (June 17, 2004) Education Policy Analysis Archives **12**(28)

التفصيلي عن نظام المؤتمرات المرئية في جامعة الملك سعود (المملكة العربية السعودية):

"ظهر هذا النظام في التعليم العالي السعودي حصريًا لتمكين الطالبات من متابعة محاضرات يقدمها محاضرون ذكور... [عبر] البث المباشر للفيديو والصوت من قاعات دراسية مجهزة خاصة بالطلاب الذكور إلى قاعات الطالبات."[85]

يتم وصف طريقة تنظيم مؤتمرات الفيديو في النظام التعليمي أحادي الجنس في المملكة العربية السعودية على النحو التالي: في كل فصل دراسي يحضره الأستاذ الذكر وطلابه، توجد كاميرا فيديو ثابتة يتم التحكم فيها عن بُعد وخط هاتف للاستلام فقط، جنبًا إلى جنب مع ميكروفون "متصل عن طريق الكابل بإدخال صوت الاستوديو".[86] مع مثل هذا الإعداد، يسمع الأستاذ فقط

[85] Nakshabandi, Abdussalam A. (1993). "Videoconferencing; King Saud University (Saudi Arabia)." International Journal of Instructional Media **20**(2): 127-136.

[86] المرجع نفسه.

طالباته ولا يمكنه الاتصال بهن إلا من خلال تصويره بالفيديو. وعلى الجانب الآخر، في منشأة الفتيات، يحتوي الفصل الدراسي على عدة طاولات، تتسع كل منها لثلاث أو أربع فتيات. توجد شاشة ملونة على كل طاولة وخط هاتف أحادي الاتجاه يمكن استخدامه للاتصال بالأستاذ عن طريق رفع جهاز الاستقبال. يضمن هذا الإعداد أن الفتيات فقط يمكنهن رؤية الأستاذ وبدء محادثة معه. علاوة على ذلك، يمكن للفتيات سماع أسئلة بعضهن بعضًا، ولكن في الفصل الدراسي للذكور، يستطيع الأستاذ فقط سماع أسئلتهم. يجوز للأستاذ، إذا رغب في ذلك، أن ينقل السؤال المطروح إلى طلابه الذكور. يشرف على فصول البنات مساعدة معلمة تتعقب الحضور والنظام وتشرف على الامتحانات.(87)

تتميز طريقة عقد المؤتمرات عبر الفيديو هذه بالعديد من المزايا مقارنة بالفصول الدراسية المختلطة بين الجنسين. تشمل المزايا القضاء على إمكانية التحرش الجنسي بالطالبات من المعلمين الذكور، وإتاحة الفرصة للطالبات

---

[87] المرجع نفسه.

لتوجيه سؤال لمدرسهن الذكور عبر الهاتف قد يكون الأول خجولًا جدًا لطرحه في التدريس وجهًا لوجه. كما أنّها أقلّ إلهاءً لكل من الطلاب والطالبات وهو أمر شائع في الفصول الدراسية المختلطة بسبب وجود الجنس الآخر. من الواضح أن طريقة عقد المؤتمرات عبر الفيديو هذه مصممة للحالات التي يكون فيها المعلم ذكرًا بينما يكون جنس الطلاب من الإناث ؛ بخلاف ذلك، في كليات البنات فقط، تتاح للفتيات الفرصة في المملكة العربية السعودية للدراسة وجهًا لوجه مع أناث أساتذة جامعيين في فصل دراسي من جنس واحد.

الشهادات الشخصية

نختتم هذه المناقشة حول تطور النظم التعليمية أحادية الجنس ونموها من خلال الشهادات الشخصية التالية لفوائد التعليم أحادي الجنس.

تأتي الحكاية الأولى من التجربة الشخصية للمؤرخ ستيفن مايلز (Steven Miles) الذي أوضح في مقابلة، كيف كان حضوره في مدرسة ثانوية من جنس

واحد هو السبب الرئيسي لنمو قدراته، حتى حصل على درجة الدكتوراه في التاريخ. يقول:

"عندما بدأتُ المدرسة الثانوية كنتُ استحي أكثر من معظم المراهقين. لكنني اتخذت الخطوة الهائلة للانضمام إلى فريق الكلام، وفتح ذلك لي عالمًا جديداً. قادني إلى أنشطة أخرى ... أعتقد بقوة أنهم جعلوا من الممكن تطوير الاهتمامات والمهارات التي دفعتني إلى الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ. عندما أفكر في المحفّز - الانضمام إلى فريق الكلام - وأعتبر حقيقة أن الطب الشرعي في إلينوي تهيمن عليه الفتيات، حوالي 70 /30، لا يمكنني تخيل بأنني كنت سألتحق بالفريق في مدرسة مختلطة ... كنت بحاجة إلى فرصة لاستكشاف إمكاناتي الخاصة دون القلق بشأن الظهور بمظهر الحمقى أمام الفتيات. "(88)

[88] Single-Sex Education. (www.singlesexschools.org)

في مقال حديث لمجلة نيوزويك (24 أكتوبر 2005) بعنوان "**مع عدم وجود فتيان يصرفون انتباهنا، كان لدينا الوقت للتعلم**"، كتبت كريستين فلاورز عن تجربتها في الجامعة في كلية برين ماور (التي تتبع تعليمًا منفصلاً عن الجنس في المرحلة الجامعية). قد كانت سعيدة للغاية بالحصول على قبول في كلية برين ماور، خاصة لأنها أعطتها الفرصة لتمديد 12 عامًا من التعليم أحادي الجنس إلى 16 عامًا. بالنسبة لكريستين، فإن وجود عضو من الجنس الآخر يجلس في الفصل بجوارك مباشرة أمر مزعج للغاية. في الواقع، وصفت كريستين فلاورز زميلاتها في الكلية في برين ماور، بأنهن موهوبات، واثقات، ومستقلّات، ومركزات.[89] شجعت الدراسة في مؤسسة تعليمية منفصلة بين الجنسين كريستين فلاورز على التركيز على دراستها حيث تشير بقولها:

> **"انغمست في الفرنسية والإيطالية والتاريخ والفلسفة والمبارزة والسباحة. لم أشعر أبدًا بالقلق بشأن ما إذا كنت سأحصل على**

[89] Flowers, Christine (October 24, 2005). "With No Boys to Ogle, We Had Time to Learn". Newsweek .

موعد ليلة الجمعة (لم أفعل ذلك مرة واحدة)، ولم أتردد في المساهمة بتعليق في الفصل لأنني شعرت بالخوف من الشاب الجذاب على يساري ... ساعدني برين ماور [الكلية] على فهم أن التميز ليس له جنس الأفضلية ".[90]

خلاصة

تم تقديم ومناقشة الأدلة المستندة إلى البحث العلمي والدراسات التجريبية بإيجاز في هذا الفصل لدعم الادعاء بأن النظم التعليمية أحادية الجنس هي الأنسب للفطرة البشرية (الطبيعة الإسلامية المتأصلة) ووظيفة التعليم في حياة الإنسان. كما أشار الفصل إلى الآثار السلبية للتعليم المختلط وأنه بنية اجتماعية غير طبيعية وأضرارها تفوق نفعها. ويحتاج الأولاد والبنات إلى تدريب منفصل ليناسب معدلات نموهم الجسدي والفكري والعاطفي المختلفة. وتوفر المدارس أحادية الجنس بيئة أفضل للشباب حيث يظلون

---

[90] المرجع نفسه.

متحررين من جاذبية الجنس الآخر. ينتج عن هذا الاختلاف في التركيب النفسي اختلاف كبير في الطريقة التي يتعلم بها الجنسين في الفصل وفي الطريقة التي يؤثر بها أعضاء كلا الجنسين على تعلم بعضهم بعضًا أثناء وجودهم في نفس الفصل.

يحرص الإسلام حرصًا بالغًا على صون الأخلاق والعفّة والطهارة في المجتمع المسلم. ولتحقيق هذه الغاية، يفرض الإسلام أعلى درجات التحفظ في التعامل مع الجنس الآخر. فالمسلم مأمورٌ دائمًا بأن يبتعد عن كل ما يثير غريزته الجنسية خارج نطاق الزواج، كما يُحرّم الإسلام الاختلاط الحر بين الجنسين.

يضع الإسلام أساسًا واضحًا لحفظ نقاء الحياة الجنسية للشباب والفتيات منذ البداية، ويوصي المراهقين المسلمين خصوصًا بالحفاظ على مسافة آمنة من الجنس الآخر لمصلحتهم. فالإسلام دينٌ متكاملٌ مع الفطرة الإنسانية، يُركز على تنشئة الأطفال في بيئة تحفظ فطرتهم السليمة.

ولو التحق الأطفال أو الشباب بفصول دراسية مختلطة، فمن المحتمل أن يتعرضوا لمواقف تشوّه تصورهم للأخلاق الجنسية، وقد يفقدون القدرة على التمييز بين: الحشمة والانحلال والأخلاق والانحطاط والعفّة والابتذال.

و في البيئات المختلطة، يكون لدى الطلاب المزيد من الفرص والإغراءات للضلال. لا يمكنهم الحفاظ على آداب الاختلاط الصحيحة على النحو المنصوص عليه في الشريعة الإسلامية، في جميع الأوقات خلال ساعات الدوام المدرسي. أيضًا، قد يصبح الطلاب في المدارس المختلطة أكثر اهتمامًا بكيفية ظهورهم أو تقديم أنفسهم للجنس الآخر أكثر من دراستهم. ربما هذا ما يشير إليه العديد من علماء الاجتماع حول موضوع الصداقة بين الرجل والمرأة: أنه من الصعب أن تكون هناك صداقة خالصة بين الاثنين، لأنه كلما تعمقت الصداقة، كلما وجدت الغرائز طريقها للتعبير الجسدي بين الرجل والمرأة وبالتالي الانغماس في الأعمال المحرمة.

الفصل الخامس

الأمومة والجبهة الداخلية – منظور ديني وعلمي

قال النبي ﷺ: أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. (متفق عليه)

لقد وضع الإسلام مسؤولية الحياة الاجتماعية في يد الرجل ومسؤولية الحياة المستقبلية في أيدي النساء. وجعل الله تنشئة الأجيال في أربع مراحل: الحمل والولادة والرضاعة والتعليم. تعتبر كل فترة من هذه الفترات الأربع حاسمة للغاية بالنسبة للنمو العام للطفل وأي إهمال في أي منها يمكن أن يكون مدمرًا

للإنسان. يقر الإسلام أن الأمومة مهمة حياتية بحد ذاتها. وكما سيتبين في هذا الفصل، تُظهر التجربة العملية أن معظم النساء يجدن في البيت والأسرة أعمق تحقيقٍ لذواتهن وأغنى تجربةٍ إنسانية.

لقد وزّعت الفطرة الأدوار بين الرجل والمرأة بتوازن. وهذه الفطرة لا تميز بين الجنسين. فمن خلال منح المرأة قدرة الحمل والولادة، تكون الفطرة قد حددت بوضوح مجال عمل المرأة. وبعدم تحميل الأب مسؤوليات الأمومة، تكون الفطرة قد بينت واجبات الرجل. ولأداء هذه الأدوار المتباينة، زوّد الخالق كلاً من الرجل والمرأة بما يناسبها: أجسادًا مختلفة وقدراتٍ متمايزة وصفاتٍ متنوعة وتركيباتٍ نفسيةٍ فريدة.

في المجتمع الغربي ، عندما لا تحظى المرأة بالاحترام أُمًّا وربة منزل، كان عليها أن تخرج من منزلها بحثًا عن العمل وتبدأ في أداء واجبات الرجل. وعليها أن تتصرف كالرجل من أجل الحصول على احترام المجتمع. من ناحية أخرى، فالإسلام يحترم المرأة مع الاحتفاظ بها امرأة وأثناء قيامها بمهام نسائية في الحقيقة، أعطى الإسلام المرأة مكانة مساوية للرجل أو حتى أكثر قليلاً أُمًّا

مقارنة بالأب.

بغض النظر عن مدى "المساواة" في توزيع الحداثيين لوظائف تربية الأطفال ، فإن الرجال يعرفون جيدًا أن دور المرأة مع أطفالها أهم بكثير من دور الأب. لا توجد طريقة يمكن للرجال من خلالها مشاركة الشعور بالرضا الذي تحصل عليه الأم عندما ترضع طفلها. لا توجد وسيلة يمكن للرجال أن يمتلكوا شيئًا في أجسادهم مثلُ "هرمون الأمومة" (البرولاكتين) الذي تفرزه أجسام النساء أثناء الحمل والولادة والرضاعة.

الأم – أساس الأسرة

يجوز للمرأة المسلمة أن تمارس عملًا خارجيًا، لكن الإسلام يُعلي من شأن دورها كزوجة وأمّ. فقد خصّ الإسلام الأمّ بمكانةٍ رفيعةٍ نظرًا لتضحياتها خلال الحمل والولادة وتربية الأبناء. عندما غادرت الأمهات المنزل لمتابعة "الحياة المهنية" في الصناعة أو في المكتب ، فقد المجتمع ربات المنزل. أصبحت تربية الأطفال عبئا. ألقى الزعيم السوفييتي السابق ميخائيل جورباتشوف (Mikhail

Gorbachev)، في كتابه الصادر عام 1987 بعنوان "بيريسترويكا: تفكير جديد لبلدنا والعالم"، بعض الضوء على نتائج "رغبتهم الصادقة والمسوغة في جعل النساء متساويات مع الرجال في كل شيء". يكتب: "لم يعد لدى النساء الوقت الكافي لأداء واجباتهن اليومية في المنزل، وتربية الأطفال وخلق جو عائلي. لقد اكتشفنا أن العديد من مشاكلنا - في سلوك الأطفال والشباب وفي أخلاقنا وثقافتنا وفي الإنتاج - ناتجة جزئيًا عن إضعاف الروابط الأسرية والتراخي في التعامل مع المسؤوليات الأسرية ".[91] ثم يطرح غورباتشوف السؤال التالي:

"ما الذي يجب أن نفعله لتمكين المرأة من العودة إلى مهمتها الأنثوية البحتة؟"(92)

قدم الإسلام الإجابة عن السؤال الذي طرحه الرئيس جورباتشوف وكذلك المشكلة التي يواجهها الكثير من المجتمع الغربي اليوم. رفع الإسلام من

[91] Gorbachev, Mikhail (1988). Perestroika: New Thinking for Our Country and the World. New York, Harper & Row

[92] المرجع نفسه.

مكانة المرأة وقد خصص واجبات مختلفة للرجال والنساء. وجعل أهم مهمة للمرأة هي تربية أسرتها ورعايتها.

لا يوجد بديل عن الأم في المنزل. فالأم هي التي تربط الأسرة. إنها أفضل شخص يقرأ وجه طفله ويفهم احتياجاته أو اضطراباته في الحياة. وأي رجل أو امرأة كبر ليس إلا بفضل رعاية والدته في طفولته.

تذكر الكاتبة النسوية كارول جيليجان (Carol Gilligan) في كتابها "بصوت مختلف" أن "**النساء لا يُعرّفن أنفسهن فقط ضمن سياق العلاقات الإنسانية، بل يُقيّمن ذواتهن أيضًا بناءً على قدرتهن على الرعاية والعطاء.**" [(93)] ويؤكد علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا أن المرأة في كل المجتمعات ما قبل الحديثة كانت مسؤولة بشكل أساسي عن رعاية الأطفال.

ومع أن الله قد أعطى مكانة عالية جدًا لكلا الوالدين – الأب والأم ، فقد رفع مكانة الأم إلى هرم العلاقات البشرية. رحم الأم هو نقطة الوصل بين رحلاتنا

---

[93] Gilligan, Carol (1993). In a Different Voice. Cambridge (Mass.), Harvard University Press.

من العدم إلى الوجود الأبدي. ومواءمته بين صفتيه العلويتين: الرحمن والرحيم ، فقد أعطى الله لرحم الأم اسم الرحم ، كما جاء في الحديث: عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله: **يقول تبارك وتعالى: أنا الرحمن الرحيم ، وإني شققت للرحم من اسمي ، فمن وصلها وصلته،ومن نكثها نكثه.**[94]

لهذا السبب ، فإن علماء الأنثروبولوجيا الغربيين الذين يعملون في البلدان والمجتمعات الإسلامية يتحدثون دائماً عن نوع من التسلسل الهرمي المزدوج الذي يتطلب من الزوجات أن يَكُنَّ مطيعات لأزواجهن ، بينما يجب أن يكون الأزواج مطيعين لأمهاتهم.[95]

هذه هي ثمار التعاليم الإسلامية المتعلقة بمكانة الوالدين. في البلدان الإسلامية، يعتبر الأبناء أنه من العار إرسال أمهاتهم المسنات إلى دار لرعاية

---

94 رواه البخاري في الأدب المفرد (رقم 61) بإسناد حسن، كما نقله المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 340) قائلًا: «إسناده حسن»، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (رقم 45).

95 Murad, Abdal Hakim (T.J. Winter) (April 1999). "Islam, Irigaray, and the retrieval of gender". (www.masudkhan.co.uk)

المسنين. وقد لخص المفكر الاسلامي خالد بايج (Khalid Baig) المكانة المحورية للأم المسلمة في عائلتها على النحو التالي:

"دور الأم المسلمة في الأسرة مثل دور الرماة في معركة أحد. بدا الأمر أقل أهمية، لكنه كان مفتاح مصير الجيش بأكمله. إذا صمدت النساء في جبهتهن، سينجح الجيش بأكمله. إذا تركوا الجبهة بحثًا عن وظائف خارج المنزل، فسيخسر الجميع".[96]

الاستثمار الأمومي: لماذا تستحق الأم مكانةً فريدةً؟

تعاني الأم من أجل طفلها فترة الحمل الطويلة والصعبة وكذلك لحظة الولادة المؤلمة بشدة. قال الله تعالى في القرآن﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ﴾ (سورة الأحقاف: 15)

96 Baig, Khalid. "Motherhood". Albalagh. 25 June 2001 http://albalagh.net/women/Motherhood.shtml

فإن البشر لديهم أدمغة كبيرة وجمجمة كبيرة. لهذا السبب ، كما يشير المفكر الأمريكي روبرت بلي(Robert Bly)، "الرأس الكبير يجعل الولادة تجربة مؤلمة للغاية للأم".[97] بالإضافة إلى العناء بفترة الحمل المجهدة، فهذه تضحية أخرى تقدمها الأم ، أي عملية الولادة المؤلمة لإحضار طفلها إلى هذا العالم.

يخبرنا علماء الأحياء أن الأدوار التي يلعبها الأم والأب في عملية الإِنْجاب مختلفة جدًا. لاحظ عالم الاجتماع وعالم الأحياء الأمريكي روبرت تريفرس (Robert Trivers) أن عبء " الاستثمار الأمومي" (maternal investment) أعلى بكثير من " الاستثمار الأبوي". ما كان يقصده تريفرس ما قصدته تريفرز هو أن المرأة تبذل الكثير من الطاقة والجهد كاستثمار في الطفل، بدءًا من الأشهر التسعة من الحمل وحتى انتهاء الرضاعة الطبيعية ثم تربية الطفل حتى يكبر. من ناحية أخرى، فإن "الاستثمار الأبوي" للرجل

---

97 Bly, Robert (1996). The Sibling Society. New York, Addison-Wesley Publishing Company.

ضئيلة. فجهود الأب غير مباشر فقط، يعتمد على توفير الطعام أو الدفاع عن الأطفال.[98]

فإن الأمهات لديهن استثمارات أكبر بكثير ليخسرنها إذا أهملن أطفالهن. إذا مات الطفل بسبب نقص الرعاية، فإن هذا يمثل خسارة محتملة أكبر للأم مقارنة بالأب. وهذا هو السبب في أن من أهم واجبات الإنسان حسن الصحبة لوالدته ، والعطف والرفقة الطيبة معها وهي مقدمةً على الأب.

الرضاعة الطبيعية والتنشئة الاجتماعية للطفل

أثبتت الدراسات العلمية تفوُّق الرضاعة الطبيعية على الصناعية، حيث أظهر بحث للدكتور آلان لوكان من جامعة كامبريدج أن الأطفال الذين رضعوا طبيعيًا تفوقوا في اختبارات الذكاء بـ8.3 نقطة عند سن الثامنة، وكانوا أقل عرضة للإصابة بالإسهال بفضل سكريات حليب الأم التي تحيد البكتيريا. كما

[98] Trivers, Robert L. (1972) Parental investment and sexual selection. In B. Campbell (Ed.) Sexual selection and the descent of man, 1871-1971 (pp 136–179). Chicago, Aldine.

تحسّن الرضاعة الطبيعية تنفس الرضيع، حيث تقل إصابات الجهاز التنفسي والربو مقارنة بالرضاعة الصناعية.[99] وتوصي منظمتا اليونيسف والصحة العالمية بالرضاعة لمدة سنتين أو أكثر، تأكيدًا للحكمة القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة:233)، حيث يتطلب نضج المناعة لدى الطفل خمس سنوات.

للرضاعة الطبيعية آثار مهمة بعيدة المدى على تنمية المهارات الاجتماعية للطفل خلال حياته. كانت مُرضعة النبي محمد ﷺ حليمة السعدية رضي الله عنها من قبيلة بني سعد، وهي قبيلة بارزة بين العرب في فصاحتها الرائعة. ومن ثم فإن النبي محمد ﷺ رضع من امرأة من أفصح القبائل.[100] ولعل هذا هو السبب في أن النبي محمد ﷺ اشتُهر ببلاغة رائعة وطلاقة في اللغة العربية. لقد كان

---

99 Newman, Jack (1995). How Breast Milk Protects Newborns Scientific American **Dec 1995**.

100 الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 1، ص 257 (مصحح بإسناد). وقد أشار القاضي عياض في الشفا (ج 1، ص 223) إلى أن رضاعه ﷺ في بني سعد عزز فصاحته.

بليغًا وكان كلامه فصلًا واضحًا. كان يتمتع بقوة اللغة البدوية ووضوحها وبلاغتها. قال النبي ﷺ:

بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ (البخاري)[101]

من خلال الرضاعة الطبيعية، تنقل الأم أكثر من مجرد الحليب إلى الطفل. أشار عالم الأحياء إسحاق كوخ (Yitzhak Koch)، أستاذ التغذية في معهد وايزمان للعلوم، إلى ما يأتي:

> **"النقطة الأساسية هي أن الحليب ليس مجرد مصدر للعناصر الغذائية، بل مزيج بسيط من الدهون والسكريات والأملاح. له تأثير مهم على الرضيع. إنها حقًا وسيلة تنقل الأم من خلالها المعلومات إلى الطفل."[102]**

---

[101] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب جوامع الكلم، حديث رقم 7273

[102] Blum, Deborah (1996). Is Mother's milk key to child's growth, future? Sacramento Bee **July 8**, A-1.

باري ساندرز (Barry Sanders) أستاذ سابق لتاريخ الأفكار في كلية بيتزر (كاليفورنيا). ويوضح في كتابه "A is for Ox" أنه أثناء الرضاعة الطبيعية، يتم تنشيط جميع الحواس الخمس عند الرضيع في وقت واحد، ولا يبتلع الرضيع الحليب فحسب، بل يمتص أيضًا ما يتعلق بالحليب مثل المرونة والإيقاع واللغة. يتعلم الرضيع من خلال الاستماع إلى نطق الأصوات. من خلال اتصاله الوثيق بقلب الأم، يسمع الرضيع الصوت الأكثر أهمية وهو صوت دقات قلب الأم. تدخل كلمات وجمل الأم في أذني الرضيع. في كل مرة تنطق الأم شيئًا ما، يحاول الرضيع تقليد تلك الأصوات عن طريق تحريك عضلات الوجه.[103]

وفقًا لعلماء النفس، تتشكل 75٪ من شخصية الطفل في السنوات الثلاث الأولى من حياته. في تعليقه على نمو دماغ الأطفال الرضع بعد الولادة، كتب روبرت بلي:

[103] Sanders, Barry (1995). A is for ox. New York, Vintage Books.

"عند الولادة، يمتلك قرد الريسوس، على سبيل المثال، دماغ 65 بالمائة من حجمه النهائي؛ يبلغ دماغ الشمبانزي 40.5٪ من حجمه النهائي. لكن دماغ الطفل البشري هو 23 بالمائة فقط. وهذا يعني أن ثلاثة أرباع نمو جمجمة الطفل البشري يحدث بعد الولادة."[104]

لا يمكن تحقيق التطور الطبيعي للدماغ البشري دون مساعدة الوالدين. بمعنى آخر، ينمو الطفل البشري تحت حماية والديه. أظهرت الأبحاث التي أجراها علماء النفس وعلماء الاجتماع الآخرون أن اتصال جسم الطفل بأمه مهم للغاية في النمو العقلي للطفل. إحدى الطرق التي يمكن من خلالها تحقيق هذا الاتصال الجسدي بين الأم والطفل هي عندما ترضع الأم طفلها رضاعة طبيعية.

---

104 Bly, Robert, The Sibling Society (New York: Addison-Wesley Publishing Company, 1996)

الرضاعة الطبيعية وإضفاء الطابع الإنساني على الطفل

تُضفي الرضاعة الطبيعية على الطفل طابعًا إنسانيًا بينما تميل إرضاع الطفل بالزجاجة إلى جعله آليًا. أثناء الرضاعة، لا تنقل الأم في الواقع المغذيات فحسب، بل تنقل أيضًا حبّها لطفلها. يؤكد الباحث الدكتور جيمس دبليو بريسكوت (James W. Prescott) من معهد العلوم الإنسانية أن التحفيز الحسي مثل العنصر الغذائي ضروري لنمو الدماغ وتطوره وعمله طبيعيًا.[105]

إن التركيز المتزايد في المجتمع الغرب لصناعي على وضع الرضع والأطفال في مراكز الرعاية النهارية يحرمهم من الرابطة لعاطفية مع الأم. أجرى الدكتور بريسكوت أبحاثًا اجتماعية على مختلف الثقافات "البدائية"، حيث يرضع الأطفال رضاعة طبيعية حتى سن 2.5 سنة أو أكثر، ووجد معدلات جريمة

105 Prescott, James W. (Spring 1997). Breastfeeding: Brain Nutrients in Brain Development for Human Love and Peace. Touch the Future Newsletter. http://www.violence.de/prescott/ttf/article.html

منخفضة للغاية في تلك المجتمعات. كما توصل إلى اكتشافات علمية حول الافتقار إلى التحفيز الحسي الناتج عن الرضاعة بالزجاجة وانخفاض مستويات السيروتونين في المخ لدى الأشخاص الذين يمارسون سلوكًا إجراميًا أو غير عادي في المجتمعات الصناعية الحديثة. واستنتاجه من مقارنة هذين النوعين من المجتمعات هو كما يلي:

"لكل الأسباب المذكورة أعلاه (وغيرها)، كان التحدي الذي أواجهه لنظام العدالة الجنائية هو العثور على قاتل أو مغتصب أو مدمن مخدرات في أي منشأة إصلاحية في أمريكا تم إرضاعه من الثدي" لمدة عامين وما بعده "، مثل أوصت به منظمة الصحة العالمية (WHO). ستوفر دراساتي المقترحة على البالغين الذين تم إرضاعهم رضاعة طبيعية لمدة "عامين وما بعده"، عند إجرائها، قاعدة بيانات قوية لدعم العلاقات المذكورة أعلاه والدعوة إلى سياسة صحية وطنية من شأنها أن تدعم الأمهات اللاتي يرضعن أمهات من شأنها أن تشمل الرضاعة الطبيعية "لمدة سنتين وما

بعدها". إذا تم تنفيذ مثل هذه السياسة الصحية الوطنية، فإنها ستحول ثقافتنا عن العنف إلى ثقافة سلام". (106)

الأم في المنزل – الحصن الأخير ضد الفجور

إن حب الأم لأولادها هو الذي ينمي الصفات الإنسانية في الأبناء. فقد ورد في أحد الأحاديث النبوية:

جاء رجل إِلَى رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ:((أُمُّكَ)) قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:((أُمُّكَ))، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أُمُّكَ))، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ((أَبُوكَ)) (مُتَّفَقٌ عَلَيهِ)(107)

إن سبب تأكيد نبينا الكريم ﷺ على أهمية الأم أكثر من الأب هو أنه لا يوجد

[106] المرجع نفسه.

[107] الراوي: أبو هريرة، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: 2548، خلاصة حكم المحدث: [صحيح]، التخريج: أخرجه البخاري (5971)، ومسلم (2548).

رابط إنساني أقوى من رباط الأم بالطفل. أجرى علماء الاجتماع تجارب طلبوا فيها من الآباء أن يكونوا أقرب إلى الأطفال منذ ولادتهم. ومع ذلك، في غضون أسابيع قليلة، على الرغم من مشاركة الآباء العميقة في رعاية الأطفال، كانت الأمهات لا تزال أقرب إلى الأطفال.

في تجربة أخرى، كشف علماء الاجتماع الأطفال بعد ولادتهم للعديد من مقدمي الرعاية المختلفين غير الأم. أظهرت نتيجة التجربة أن الأطفال كانوا مرتبكين وأنهم يريدون عودة أمهاتهم الطبيعية.[108] عندما يكبر هؤلاء الأطفال المرتبكون، يحاولون إيجاد الراحة من خلال الانغماس في رذائل المجتمع. الأم هي التي تتولى مسؤولية القيم المحلية للمجتمع بما في ذلك اهتماماته الأخلاقية والاجتماعية والدينية. فوجود الأم في المنزل مع طفلها هو الحصن المنيع ضد هجمات الفجور السائدة في المجتمع.

---

[108] Rossi, Alice S. (1977). "A biosocial perspective on parenting." Daedelus **106**: 1-32.

مراكز الرعـايـة النهـاريـة للأطفـال ودور المُسِـــنِّين – تناسب مباشر

توجد علاقة عميقة بين دور رعاية المُسِنِّين ومراكز رعاية الأطفال في المجتمع. يمكن فهم هذا بشكل أفضل من خلال قول مأثور قديم يمكن اعتباره "قانونًا للحياة" – إذا كنت تفعل الخير لوالديك، فإن أطفالك سيفيدونك.

إن وجود ارتقاع أهمية الحضانة ورعاية المُسِنِّين مؤشر على اختلال توازن الواجبات الاجتماعية في المجتمع. القرآن الكريم يحذرنا: ﴿ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ۝٩﴾ (سورة الرحمن: 9)

عندما ينشأ الأطفال بدون حب الوالدين (خاصة المودة الأمومية) عند وضعهم في مراكز الرعاية النهارية، فإنهم في النهاية ينفثون عن غضبهم ضد والداهم عندما يبلغ والديهم سن الشيخوخة. بالإضافة إلى ذلك. تلاحظ عالمة الاجتماع أليس روسي (Alice Rossi):

"أنّ الأطفال الذين تتم تربيتهم جماعيًا، بعيدًا عن التحرر، غالبًا ما يتم إهمالهم، ومخلوقات غير مبهجة". [109]

استمع إلى نصيحة باري ساندرز (Barry Sanders) لكل أم:

"يجب على كل أم – من فقيرة تحتاج إلى العمل للبقاء على قيد الحياة، إلى الأمهات الثريات اللاتي يعملن فقط لتمضية الوقت – العودة إلى المنزل، على الأقل حتى يخرج أطفالهم من سن الرضاعة. فإذا كان هؤلاء الأمهات يتمتعن بصحة جيدة، فيتعين عليهن إرضاع أطفالهن ... فلا يجب على الأم العيش في الشوارع ولكن عليها أن تستقر في المنزل." [110]

---

109 Rossi, Alice S. (1985). Gender and Parenthood. Gender and Life Course. (ed.) Alice S. Rossi. New York, Aldine. Quoted in: *Brain Sex* by Anne Moir

110 Sanders, Barry (1995). A is for ox. New York, Vintage Books.

قام المفكر البوسني المسلم المعاصر، علي عزت بيغوفيتش (Alija Ali Izetbegovic)، في كتابه الرائد، "الإسلام بين الشرق والغرب"، بتلخيص العلاقة بين مراكز رعاية الأطفال ودور المُسِنِّين:

"منازل كبار السن تتشابه مع منازل الأطفال. إنهما ينتميان إلى النظام نفسه، ويعبران من المشكلة نفسها. تذكرنا منازل الأطفال ومنازل المُسِنِّين بالولادة الاصطناعية والموت الاصطناعي. كلاهما يتميز بوجود الرَفاهية وغياب الحب والدفء. كلاهما يعارض الأسرة وهما نتيجة لتغير عمل المرأة في حياة الإنسان. وسبب ذلك إلغاء العلاقات الأبوية. في الحضانة، الأطفال بلا أبوين؛ في منازل المُسِنِّين، الآباء ليس لديهم أطفال".[111]

111 Izetbegovic, 'Alija 'Ali (1994). Islam Between East and West. Indiana, American Trust Publications. Izetbegovic was the first president of Bosnia and Herzegovina.

الفصل السادس

مهنة أم عائلة – ماذا تريد غالبية النساء؟

غالبًا ما تصوّر وسائل الإعلام المرأةَ على أنها مهووسة بالعمل الوظيفي، بينما تُظهر بيانات العالم الواقعي – حتى في أكثر الدول تقدمًا – أن معظم النساء يُفضّلن الأسرة على الوظيفة. لقد دخلت المرأة الغربية سوق العمل بدافع الضرورة – كالحروب والضغوط الاقتصادية والثورة الصناعية – وليس بتوجيه إلهي.

يسمح الإسلام للمرأة بالعمل في مجالات ضرورية (كطب النساء والتعليم) أو عند الحاجة (كوفاة الزوج أو الفقر)، لكنه يرفض انتقاص دور الأمومة أو جرّ

النساء من بيوتهن الآمنة إلى سوق العمل تحت شعار "التحرر." فالإسلام - المنسجم مع الفطرة الإنسانية - يؤكد أن غالبيّة النساء بطبيعتهنّ يخترن الأسرة، وهذه الحقيقة سنستكشفها في هذا الفصل.

مشاركة المرأة في سوق العمل

حدثت تحولات كبيرة في مشاركة المرأة في القوى العاملة في الولايات المتحدة منذ منتصف القرن العشرين. ففي عام 1950، كان حوالي 34٪ من النساء يشكلن جزءًا من القوى العاملة، وارتفع هذا الرقم خلال الستينيات والسبعينيات، مدفوعًا إلى حد كبير بالتغيرات المجتمعية والتقدم التعليمي والاحتياجات الاقتصادية. وبحلول عام 1999، وصلت مشاركة المرأة في القوى العاملة إلى ذروتها بنسبة 60٪ تقريبًا. ومع ذلك، انعكس الاتجاه منذ عام 2000، حيث أظهرت معدلات المشاركة انخفاضًا طفيفًا ولكنه

مطردًا.[112] ويُعزَى هذا الانخفاض في حد كبير إلى سياسات العمل التي لم تتكيف مع الاحتياجات المتطورة للمرأة. خلقت قضايا مثل عدم كفاية الإجازات الأسرية، والافتقار إلى ظروف العمل المرنة، وعدم كفاية دعم رعاية الأطفال، واستمرار الفجوات في الأجور بين الجنسين بيئة تواجه فيها العديد من النساء عوائق تحول دون المشاركة الكاملة. وقد ساهمت هذه السياسات الراكدة وغير الملائمة للنوع الاجتماعي، بالإضافة إلى الضغوط الإضافية لرعاية الأطفال، في هذا التراجع. وبحلول أغسطس 2024، بلغت نسبة مشاركة المرأة في القوى العاملة حوالي 57.8٪، وهو انخفاض ملحوظ عن ذروتها.[113]

عمومًا، يبدو أن النساء الأمريكيات يفضلن البقاء في المنزل والتركيز على أسرهن. يخترن العمل بدوام كامل فقط عندما تجبرهن الضرورة على القيام

[112] Overview of women’s participation in the labor force (June 25, 2024) U.S. Bureau of Labor Statistics, Washington, DC. https://www.bls.gov/cps/demographics/women-labor-force.htm

[113] Labor Force Participation Rate - Women. (2024, September 6). https://fred.stlouisfed.org/series/LNS11300002

بذلك كحالات الطلاق أو الوفاة أو عدم كفاية دخل أزواجهن.[114] دراسة استقصائية وطنية أجراها لويس هاريس (Louis Harris) وشركاه في عام 1982 لصالح جنرال ميلز (General Mills) لديها ما يكفي من الأدلة للإشارة إلى أن معظم النساء يفضلن البقاء في المنزل مع عائلاتهن وأن المشاركة في العمل بدوام كامل ليست هدف حياتهن. تظهر نتائج الاستطلاع أن 39 في المائة من النساء يفضلن العمل في المنزل فقط. تريد 32 ٪ أخرى العمل بدوام جزئي فقط، مما يعني أن 29 ٪ فقط من جميع النساء الأمريكيات يرغبن في الحصول على عمل بدوام كامل خارج المنزل.[115]

على الرغم من محاولات بعض النسويات لفصل النساء عن الأسرة وإدخالهن في العمل، تدرك معظم النساء، بحسّهن الأنثوي، أن عمل الأم خارج المنزل يؤثر سلبًا على تربية الأطفال. لهذا، تختلف أولويات النساء عن الرجال، حيث

---

114 Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

115 Louis Harris Public Opinion Poll conducted for Virginia Slims, 1982. *Quoted in:* Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

لا يعتبرن الدخل أولوية قصوى ويفضلن العمل القريب من المنزل، غالبًا بدوام جزئي. تفضل النساء دورًا مركزيًا في رعاية الأطفال للحفاظ على ترابط الأسرة.

ربات البيوت في أمريكا - سعداء أم غير سعداء؟

عندما نشرت بيتي فريدان (Betty Friedan) كتابها "الغموض الأنثوي" عام 1963، زعمت أن ربات المنازل في الضواحي يعانين من حياة خانقة بسبب انحصار دورهن في الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال، مما أفقدهن هويتهن الشخصية. [116] لكن الأبحاث الميدانية لعالمي الاجتماع هربرت جانس (Herbert J. Gans) وهيلين لوباتا (Helen Lopata) كذبت هذه الادعاءات.

---

[116] Friedan, Betty (2001). The Feminine Mystique. New York, Norton. pp. 345-359.

في دراسة جانس الشهيرة عن ضاحية "ليفيتاون" (بنسلفانيا)، وجد أن النساء هناك كنّ الأكثر رضـاً عن حياتهن، حيث شكلن مجتمعات متماسكة عبر مجموعات الحي التطوعية وتبادل رعاية الأطفال. أما لوباتا، فمن خلال 573 مقابلة مع ربات منازل في ضواحي شيكاغو، اكتشفت أن غالبيتهن استخدمن تعليمهن بطرق إبداعية مثل:

- التعليم المنزلي للأطفال
- المشاركة في نوادي الكتب
- قيادة المبادرات المحلية

كما وجدت أن علاقاتهن الاجتماعية كانت أقوى من العاملات، اللاتي عانين من صعوبة التوفيق بين العمل والأسرة. والأكثر لفتـاً أن كثيراً من العاملات عبرن عن رغبتهن في ترك الوظائف ليكرسن أنفسهن للبيت، مما يناقض صورة "المرأة الضحية" التي روّجت لها فريدان. هكذا أثبتت الدراسات أن ربات المنازل في الضواحي كنّ نموذجـاً للسعادة والاندماج الاجتماعي، وليس القمع كما ادعت النسويات. لاحظ لوباتا:

"يوفر لها دور ربة المنزل قاعدة لإعادة بناء حياة متعددة الأوجه، وهي فرصة لا يسمح بها سوى القليل من الأدوار المهنية الأخرى، لأنها مرتبطة بهياكل وأهداف تنظيمية واحدة."[117]

لقد دحضت الأبحاث العلمية ادعاء بيتي فريدان بأن ربات المنازل في الضواحي يعانين من الوحدة وعدم الرضا. ففي كتابه "سكان ليفيتاون" (1967)، وجد عالم الاجتماع هربرت ج. جانز (Herbert J. Gans) أن 10٪ فقط من نساء الضواحي أشرن إلى شعورهن بالوحدة بشكل متكرر – وهو ما يناقض تماماً مزاعم فريدان عن "المشكلة التي لا اسم لها". وأرجع جانز هذه النسبة المنخفضة إلى الروابط المجتمعية القوية في الضواحي، حيث كانت النساء نشطات في شبكات الجيرة، ومجموعات رعاية الأطفال التعاونية، والفعاليات المحلية.[118]

---

[117] Lopata, Helen Z., (1971) Occupation Housewife. New York: Oxford University Press. Quoted in: Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

[118] Gans, Herbert J., (1967) The Levittowners. New York: Pantheon. Quoted in: Gilder, George (2001). Men and Marriage. Louisiana, Pelican Publishing Company.

أما عالمة الأنثروبولوجيا مارجريت ميد (Margaret Mead) فقد دحضت بدورها السرديات النسوية في كتابها "الذكر والأنثى" (1949) بقولها:

"لا تبلغ المرأة أقصى إشباع لها عندما تُمنح النفوذ والسلطة والثروة، بل عندما يتم تمجيد الدور الإبداعي للأم والزوجة".[119]

وحذرت ميد من أن التقليل من شأن الأمومة - بمعاملتها كدون العمل المأجور - يخلق تعاسة حقيقية.

من الناحية البيولوجية، يتفوق الرجال والنساء في مهام مختلفة، لكن العمل المنزلي غير المدفوع (مثل تربية الأطفال وإدارة المنزل) لا يقل أهمية عن العمل المأجور. وكما أظهرت ميد وجانز، فإن الرضا الأنثوي الحقيقي ينبع من تكريم الأدوار الطبيعية للمرأة، وليس من مساواة "الأجر" بـ"القيمة" - وهي حقيقة أكد عليها الإسلام دائماً.

---

[119] Mead, Margaret (1949). Male and Female: A Study of the Sexes in a Changing World. New York, Morrow.

التأثيرات على الصحة العقلية للأطفال عندما يعمل كلا الوالدين خارج المنزل

كشف استطلاع هاريس (تقرير الأسرة الأمريكية، 1980–1981) أن 52٪ من الأمريكيين يعتقدون أن الأسر ذات الدخل المزدوج لها تأثير "سلبي بشكل عام" على العائلات.[120] تجربة السويد الاجتماعية تقدم مثالاً صارخًا على ذلك: بعد تبني سياسات نسوية مثل رعاية الأطفال الشاملة وإصلاحات ضريبية عقابية ضد الزواج (مثل إلغاء الإقرار الضريبي المشترك)، تآكل استقرار الأسرة. كما يحذر المؤرخ آلان كارلسون (Allan Carlson):

[120] Louis Harris and Associates Families at Work: Strength & Strains" The General Milles American Family Report 1980-81. General Mills, Inc. Minneapolis, MN.

"بإعلان ربة المنزل 'عرقًا منقرضًا'، أزالت التغييرات القانونية الحماية عن النساء المتزوجات... وسياسة الرفاهية السويدية ثبطت رعاية الأمهات لأطفال ما قبل المدرسة". (121)

كانت العواقب وخيمة. رغم ازدهار السويد، ربط الطبيب النفسي هانز لومان – الذي كلفه البرلمان بدراسة ارتفاع الأمراض العقلية – الأزمة بعمل ٧٠٪ من الأمهات لأطفال دون ١٧ سنة خارج المنزل. واستنتج استنتاجًا قاسيًا:

"لقد صنعنا مجتمعًا بارداً بشكل غير عادي، معاديًا للأطفال". (122)

وفي تعليقه على تدمير النظام الأسري في السويد، يؤكد جيلدر أن الدرس الرئيسي الذي نتعلمه من التجربة السويدية هو أن ضرراً لا رجعة فيه ألحق بالمجتمع ككل عندما أُخرجت أمهات الأطفال الصغار من منازلهن إلى سوق

---

121 Carlson, Allan (July 1984). “Toward ‘The Working Family’: The Hidden Agenda Behind the Comparable Worth Debate,” Persuasion at Work: pp. 1-5.

122 Izetbegovic, 'Alija 'Ali (1994). Islam Between East and West. Indiana, American Trust Publications.

العمل. في الواقع، النساء اللاتي يبقين في المنزل لا يؤدين دوراً اختيارياً يمكن لدولة الرفاهية القيام به بكفاءة أعلى. الموارد البشرية لا "تُهدر" عندما تبقى النساء في المنازل. تلعب النساء دوراً بالغ الأهمية في التنشئة الاجتماعية لكل من الرجال والأطفال. عندما تترك الأمهات أطفالهن في المنزل سعياً وراء مهنة، يدفع المجتمع الثمن على شكل خسائر اقتصادية، انخفاض سكاني، جرائم يرتكبها الأطفال والكبار، إدمان مخدرات، طلاق وأمراض عقلية.

"الرجال قوامون على النساء"

لقد مكّن الله الرجال وأوكلهم إلى حماية وكسب العيش لأسرهم ورعايتها. لإنجاز هذه المهمة، منح الله الرجال بعض القدرات الأكثر ملاءمة للعمل خارج المنزل. وتشمل هذه الصفات المخاطرة، وإحساس الرجل بالثقة، والمنافسة، والقدرات المكانية، والسعي إلى السلطة، وما إلى ذلك، سواء كان الأب أو الأخ أو الزوج، فقد جعل الإسلام من واجبهم رعاية ابنتهم أو أختهم أو أمهم أو زوجتهم للإنفاق عليها، لتزويدها بالطعام والملبس والمأوى الذي تحتاجه، لتزويدها بتعليم جيد، لحمايتها من أي شيء يمكن أن يضرها،

لمرافقتها أثناء الرحلات الطويلة وعدم القيام بذلك أبدًا. لا يترددون في تعريض حياتهم للخطر من أجلها إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

لقد منح الله للرجال بعض المهارات والقدرات التي يتفوقون فيها على النساء، وتشمل التفكير الحادّ وقدرات البناء المكاني وقدرات الملاحة الفائقة. كما ذكرنا سابقًا، وجد الباحثون في جامعة فيرجينيا للتكنولوجيا (Virginia Tech) أن مناطق الدماغ المسؤولة عن التصويب والذاكرة المكانية تنضج قبل 4 سنوات عند الأولاد أكثر من الفتيات. وبالمثل، درس الباحثون في فرنسا الفروق بين الجنسين في القدرات المكانية في سن مبكرة. كان عنوان دراستهم المنشورة في المجلة " أرشيف أمراض الطفولة" بعنوان "هل الأولاد أفضل من البنات في بناء برج أو جسر في عمر عامين؟" ووجدوا أنه حتى في سن الثانية، يزيد احتمال قدرة الصبي على بناء جسر من الكتل أكثر بثلاث مرات من الفتاة.[123] هناك حاجة ماسة لمثل هذه المهارات بالنسبة إلى عائل الأسرة

---

[123] Labarthe, Jean Christopher (1997). "Are Boys Better Than Girls at Building a Tower or a Bridge at 2 Years of Age?" Archives of Diseases of Childhood **77**: 140-144.

الذي يعمل خارج المنزل.

وبالمثل، هناك فرق كبير بين الرجال والنساء عندما يتعلق الأمر بفهم الاتجاهات. يمكن للرجال استخدام اتجاهات البوصلة دائمًا: الشمال والجنوب والشرق والغرب، عندما يسافرون ولكن لا يمكن للنساء في كثير من الأحيان اتباع الاتجاهات إلا عند إعطاء معالم مرئية لهم. لِمَ ذلك؟ أراد الطبيب النفسي الألماني جورج غرون (Georg Grön) وزملاؤه في جامعة أولم (University of Ulm) التحقيق في سبب اختلاف الرجال والنساء في هذا الصدد. استخدموا التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي لملاحظة نشاط الدماغ عند الذكور والإناث أثناء بحثهم عن طريقة للخروج من متاهة معقدة ثلاثية الأبعاد للواقع الافتراضي. وكشفت نتائج الدراسة أن النساء يستخدمن منطقة متقدمة من الدماغ (القشرة المخية) لتحديد اتجاهات القيادة. بينما يستخدم الرجال الحُصين (hippocampus) لتحديد الاتجاهات والحُصين

هو تلك المنطقة البدائية من الدماغ المتخصصة في التنقل المكاني.[124] ومن ثم، يميل الرجال إلى أن يكونوا أفضل في التنقل واتباع الخريطة. وفي هذا السياق، فإن حديث النبي محمد ﷺ يمكن أن يُفهم بشكل أفضل حيث قال:

لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ باللهِ وَالْيومِ الآخِرِ، تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَومٍ وَلَيْلَةٍ إلَّا مع ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا. (رواه مسلم)[125]

وهذا الحديث أيضا مبني على الحكمة الإضافية في أن وجود المحرم الذكر معها يقي من الخطر.

يمكن فهم الفروق النفسية والعاطفية الفطرية بين الرجال والنساء بشكل أعمق من خلال دراسة حالات اضطراب الهوية الجنسية (الجندر ديسفوريا) – وهي حالة طبية يعاني فيها الشخص من ضيق شديد وعدم راحة نتيجة رغبته في

---

[124] Grön, George, et al. (2000) “Human brain activation during navigation: Gender-dependent neural networks as substrate of performance.” Nature Neuroscience **3**: 404–408.

[125] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، حديث رقم (1341)

الانتماء للجنس الآخر، مما قد يؤدي إلى خلل في الأداء الوظيفي وضائقة نفسية عميقة. يقدم الدكتور ليونارد ساكس دراسة حالة جيمس بويلان الذي تحول إلى أنثى (وتسمى الآن جينيفر) في عمر الأربعين بعد سنوات من شعوره بأنه "فتاة محاصرة في جسد صبي". بعد العلاج الهرموني، كتب بويلان عن الفرق الصارخ بين مشاعره كرجل ثم كامرأة:

"أول ما فقدته عندما بدأت تناول الإستروجين كان شعور المناعة والثقة الذي اعتدت عليه كرجل. كرجل، كانت تقلبات الحياة ترتد عني كما ترتد الحصاة عن زجاج السيارة. أما كامرأة، فإن الأمور تؤثر فيّ بعمق. أصبحت أحزاني وأفراحي قريبة جداً من السطح...."(126)

هذا الشهاد يتوافق تماماً مع المفهوم القرآني للرجل كقوّام على المرأة، وهي مسؤولية مرتبطة بثقتهم الفطرية وقدرتهم على تحمل المخاطر. كما أن الفروق

[126] Boylan, Jennifer Finney (Sept. 2003). "Altered State: Living over 40 Years as a Man, Then Becoming a Woman, Still Didn’t Answer All the Questions about the Opposite Sex." Allure 150-152.

البيولوجية تؤثر في اختيار الشريك: فالنساء عادةً ما يفضلن الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي في الرجال (صفات القوامة)، بينما يميل الرجال إلى جمال المرأة الجسدي – وهو نمط تؤكده العديد من الدراسات كما سبق في هذا الكتاب.

وعلى نفس المنوال، ركز الدكتور جيمس تاونسند (James Townsend) في كتابه "ماذا تريد النساء – ما يريده الرجال" على مقابلات متعمقة أجراها مع 50 طالبًا وطالبة في الطب. في تلك المقابلات، بينما اعتبر 85 في المائة من الرجال أن الجاذبية الجسدية وجمال الوجه أهم صفة في أزواجهم المستقبلية، أعطت 10 في المائة فقط من النساء هذا الرد. يوضح هذا بوضوح أنه بالنسبة لـ 90 في المائة من النساء، لم تكن الجاذبية الجسدية وجمال أزواجهن المستقبليين من أهم معايير الاختيار.[127] إذن ما هي أهم المعايير بالنسبة

---

[127] Townsend, John Marshall (1998). <u>What Women Want – What Men Want: Why the Sexes Still See Love and Commitment So Differently</u>. New York, Oxford University Press.

للمرأة في اختيار زوجها المستقبلي؟ الإجابة على هذا السؤال هي أنه لا توجد امرأة واحدة في هذه الدراسة البحثية عبرت عن رغبتها في الزواج من رجل يكسب مالاً أقل مما تفعله. في واقع الأمر، قالت ثلث طالبات كلية الطب في هذه الدراسة إنهن أردن رجلاً جعلهن يشعرن "بالحماية" و"الأمن". وهذا بالضبط ما يقوله القرآن عندما يتحدث عن الجنسين مع مراعاة طبيعة المرأة:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ (سورة النساء: 34)

في التعاليم الإسلامية، للمرأة نفس حقوق الرجل، إلا أن الرجل، باعتباره راعي شؤون المرأة وحاميها، له درجة من الميزة (القرآن 2: 228). في الإسلام، العلاقة بين الزوج والزوجة ليست تنافسية بل هي علاقة تكاملية - الزوجان يكملان شخصية بعضهما بعضًا ومهاراتهما ومسؤولياتهما.

الرجال أم النساء: من هو مدير المنزل الأفضل؟

بسبب اختلاف حيويًا، يختلف الرجال والنساء في وجهات نظرهم للعالم. عندما يتعلق الأمر بتنظيم المنزل، تتمتع المرأة بصفات تفوق صفات الرجل بكثير. لا تزال معظم النساء يقمن بمعظم الأعمال المنزلية حتى لو كن موظفات. ففي مقابل كل ساعتين يقضيها الرجل في الأعمال المنزلية، تقضي المرأة خمس ساعات في المساعدة في أعمال المنزل وتوزيع المهام على الأطفال.[128] سواء كانت أمًا عاملة أو أمًا مقيمة في المنزل، تجد النساء أنفسهن دائمًا في منصب إدارة المنزل، حيث يتعين عليهن تذكير أزواجهن بالتزاماتهم. في الواقع، حتى في الدول الاسكندنافية، حيث تم بذل كل المحاولات للقضاء على الأدوار التقليدية للجنسين، فإن رعاية الأطفال وغسيل الملابس

[128] Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

والتنظيف والغسيل وإعداد الطعام للعائلة تقوم بها الزوجات في 70 بالمائة من الأسر بينما يدفع الأزواج تكاليفها. الفواتير والقيام بالوظائف الخارجية.[129]

فقد تبين أن النساء يقمن بمعظم أعمال تنظيف المنزل لأنهن ببساطة غير معجبات بقدرة أزواجهن. في هذا الحقل. يعترف أحد الازواج: "**أفعل ما بوسعي، لكن معاييرها [زوجتي] في التنظيف مرتفعة جدا. وتقول إنني إذا فعلت ذلك، فسيتعين عليها أن تفعل ذلك مرة أخرى.**"[130]

إن تفوق المرأة على الرجل في الحفاظ على المنزل ينبع من اختلاف وجهات النظر بين الجنسين. إن عالم سوق العمل هو في الأساس عالم يهيمن عليه الذكور، حيث تُمنح القيمة الوحيدة للشخص الذي يثبت نفسه لامتلاك الصفات الذكورية المتمثلة في المنافسة والعدوان. بالنسبة للنساء، فإن القيم الأكثر أهمية هي الرحمة والحب والعلاقة والأمن – وهي قيم المناسبة للمنزل

---

[129] Hoyenga, K.B. & Hoyenga, K. (1980). Sex Differences. Boston, Little Brown and Company.

[130] Tiger, Lionel & Shepherd, J. (1977). Women in the Kibbutz. London, Penguin Books.

– وبالتالي، من المهم بالنسبة للمرأة أن تكون المنازل نظيفة وتتمتع ببيئة ودية. بالنسبة للرجال، المكتب أو المصنع لا يقل أهمية عن منازلهم، وذلك بسبب طبيعتهم المعيلة. تشرح آن موير (Anne Moir) هذا الاختلاف في النظرة العالمية بين الجنسين:

"تكمن هذه «القوة الشاملة» في طبيعة دماغ الذكر والأنثى. في الواقع، لا "يرى" الرجال الزجاج المتسخ... ويرجع ذلك في الغالب إلى أن النظارات النظيفة لها أولوية منخفضة نسبيًا في نظرتهم للعالم. بالنسبة للمرأة، حيث المنزل ليس مجرد فندق، بل هو خلفية للعلاقات التي تهمها، فإن الزجاج القذر يمثل توبيخًا ضمنيًا لقيمها الخاصة."[131]

---

[131] Moir, Anne & Jessel, David (1991). Brain Sex: The Real Difference between Men & Women. New York, Carol Publishing Group.

الفصل السابع

هل الأفضل التجمعات المنفصلة بين الجنسين أم التجمعات المختلطة؟

يُميِّز الإسلام بوضوح بين الفضاء العام والخاص. المساحة الخاصة مُفصولة ماديًا ومحمية من الاقتحام، كما أمر الله في سورة النور (الآيات 27–29). كما يحظر الإسلام انتهاك حرمة الحياة الخاصة عبر النميمة (غِيْبَةٍ) أو التجسس، مُستندًا إلى النهي الصريح في سورة الحجرات (الآيتان 11–12).

لقد أعطى الإسلام للمسلمين نظاما اجتماعيا راقيا وشاملا، لا مجال فيه للتجمعات المختلطة غير الضرورية والمتهورة. واستنادا إلى منهجه الواقعي في التعامل مع الطبيعة البشرية، يدرك الإسلام تماما أن الاختلاط الحر بين

الرجال والنساء يولّد رذائل أخلاقية مسؤولة إلى حد كبير عن تدمير النسيج الأخلاقي للمجتمعات، كما كشفت التجارب المجتمعية الماضية والحالية.

يقول الله تعالى في القرآن للمؤمنين والمؤمنات:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَاۖ﴾

(سورة النور: 30، 31)

بعد هذه الآيات في سورة النور، تقدم تفاصيل حجاب المرأة أمام الأجانب. وكذلك في سورة الأحزاب (الآية 59) جاءت الأحكامات المتعلقة بلباس المرأة المسلمة خارج البيت. وكذلك أمر الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٣٢﴾ (سورة الإسراء: 32) مما يغلق بشكل واضح كل الأبواب الخلفية أمام أهواء الإنسان المنحرفة والسلوك غير المشروع والتجمعات المختلطة. سنناقش في هذا الفصل لماذا يحرم الإسلام التجمعات المختلطة بين الرجال والنساء من غير المحارم.

النســاء أكثر ســعادة وثقة في التجمعات المنفصــلة عن الجنسين

تُظهر الدراسات أن النساء يشعرن بسعادة وثقة أكبر في البيئات أحادية الجنس، وذلك بسبب الاختلافات النفسية الأساسية بين الجنسين. فبينما يعتمد الرجال على الدعابة والمزاح لتخفيف ضغوط العمل، قد تجد النساء هذا السلوك غير مرحٍ أو حتى مهينـًا، مما يؤدي إلى توتر في بيئة العمل. وتثبت الأبحاث العلمية أن معالجة المشاعر تختلف بين الرجال والنساء، حيث تميل النساء إلى مستويات أعلى من القلق والعصابية نظراً لطبيعتهن الأكثر رعايةً وعاطفية. هذه الفروق الفطرية – حيث تتمتع النساء بحساسية عاطفية أكبر بينما يميل الرجال للمخاطرة والاستقلالية – تفسر سبب ازدهار النساء في وجود نظيراتهن من

الإناث، بينما يفضل الرجال بيئات العمل المستقلة.[132] [133]

دليل آخر في هذا الصدد يأتي من عالمة النفس وباحثة شيلي تايلور (Shelley Taylor) من جامعة كاليفورنيا لوس أنجلوس، المتخصصة في دراسة الفروق بين الجنسين، لاحظت ملاحظاتها في إحدى الدراسات على النحو التالي:

"تحتفظ النساء بعلاقات وثيقة مع النساء الأخريات أكثر من الرجال، فهم يحشدون المزيد من الدعم الاجتماعي في أوقات التوتر أكثر من الرجال، ويلجأون إلى صديقاتهن في كثير من الأحيان، ويحصلن على فوائد أكبر من الاتصال بصديقاتهم وأقاربهم".[134]

---

[132] McGhee, Paul.E. (1979). Humor: Its Origin and Development. San Francisco, W. H. Freeman.

[133] Hoyenga, K.B. & Hoyenga, K. (1980). Sex Differences. Boston, Little Brown and Company.

[134] Taylor, Shelley E., et al. (2000). “Biobehavioral responses to stress in females: Tend-and-befriend, not fight-or-flight.” Psychological Review, **107**, 411-429.

اختيار الفتيات المراهقات المنزل ملاذًا آمنًا

لقد تم خلق الرجال والنساء متساوين بالقيمة ولكن مختلفين بالأدوار والقدرات. في جميع المجتمعات الماضية، كان مجال الرجل هو العالم الخارجي بينما كانت المرأة تبقى في المنزل وتعتني بالأسرة. يحاول المجتمع العلماني الحديث، بجهد مشترك بين النسويات ووسائل الإعلام، إخراج النساء من منازلهن لقضاء معظم وقتهن في الأماكن العامة. سواء للعمل أو الرياضة أو لتكون مجرد الأنثى المتحررة، أي المرأة المتحررة من مسؤوليات بيتها. لكن رغم كل الجهود التي يبذلها الإعلام والرأسماليون، فإن المرأة بطبيعتها تفضل البقاء في المنزل.

وجاءت دراسة مثيرة للاهتمام في هذا الصدد من الدكتورة كاندي جيمس (Kandy James) من جامعة إديث كوان (Edith Cowan University) في أستراليا. في دراستها الأولى، قامت الدكتورة كاندي باستطلاع رأي فتيات أستراليات يبلغن من العمر 10 سنوات ووجدت أن هؤلاء الفتيات صنفن غرف نومهن على أنها المساحة الترفيهية التي يشعرن فيها بذاتهنّ؛ كانت غرفة

النوم هي المكان الذي اختاروا أن يكونوا فيه.[135] وهذا ما دفع الدكتورة كاندي إلى إجراء دراسة متابعة متعمقة على نفس الفتيات، البالغات من العمر الآن 16 عامًا. وقد تناولت هذه الدراسة أسباب هذا التوجه لدى الفتيات تجاه غرف نومهن. وأشارت الدكتورة كاندي إلى الاختلاف بين الجنسين في هذا الصدد، حيث أنه على الرغم من أن الأولاد يقضون بعض أوقات فراغهم في غرف نومهم، إلا أنه يبدو أن غرف النوم ليست مهمة لهويتهم كما هي بالنسبة للفتيات.[136]

تم إجراء الاستطلاع الأصلي على 276 فتاة مراهقة. بعد تحليل بيانات هذه التجربة، ناقشت الدكتورة كاندي نتائج دراستها من خلال النظر في العوامل المختلفة المتعلقة باستجابات الفتيات. كان أحد العوامل هو "الصورة الجسدية الظرفية". الصورة الجسدية الظرفية تشير إلى كيفية تأثر إدراك الفتاة

---

135 James, Kandy (1998). "Deterrents to active recreation participation: Perceptions of year 10 girls." Health Promotion Journal of Australia **8**(3): 183-189.

136 James, Kandy (2001). ""I Just Gotta Have My Own Space!": The Bedroom as a Leisure Site for Adolescent Girls." Journal of Leisure Research **32**(1): 71-90.

لجسدها بناءً على الموقف أو البيئة التي توجد فيها وحضور الآخرين، حيث تتغير مشاعرها تجاه جسدها وفقًا للظروف الخارجية والمواقف المختلفة. عند سؤالهن عن معنى غرفة نومهن بالنسبة لهن، ذكرت معظم الفتيات أن غرفة نومهن توفر لهن العزلة عن الجماهير التي يحتمل أن تنتقدها. أعطت ليوني (Leonie) إجابة نموذجية شاركتها فيها العديد من الفتيات الأخريات، وهي أن غرفة نومها تعني الخصوصية. **"إنها غرفة يمكنني أن أذهب إليها، حيث أعلم أن الناس لن يتابعوني وينظروا إلى كل ما أفعله ويراقبوني."**

كان هناك عامل ملحوظ آخر وهو الخوف من السخرية من العواطف وكانت غرفة النوم مكانًا مفيدًا جدًا لإخفاء مثل هذه العروض العامة للعواطف. كشفت العديد من الفتيات عن هذا الشعور في الاستطلاع، حيث استخدمن غرفهن عندما لم يرغبن في أن يُشاهِدُهُنَّ الآخرون منزعجات.

ومن بين العوامل المادية التي تمت دراستها الحاجة إلى وجود مكان آمن لهن. اختارت معظم الفتيات قضاء وقتهن في غرفتهن بسبب البيئة الآمنة. على سبيل المثال، اعتبرت فازية (Fazia) غرفتها مكانًا آمنًا لها بينما قالت جوي(Joy) :

"إنه المكان الوحيد الذي يمكنني أن أشعر فيه بالأمان". هناك فتيات أخريات في هذه الدراسة اعتبرن غرفهن بمثابة "ملاذي" و"ملجأي" و"عالمي الصغير".[137]

العامل الجسدي الآخر الذي ساهم في الارتباط العاطفي للفتيات بغرفهن هو التذكارات الموجودة في غرفهن والتي زودتهن بالشعور بالأمان. قال كاي (Kaye)، أحد المشاركين في الدراسة: **"أقضي كل وقتي في المنزل في غرفة نومي... أنا محاطة بكل الأشياء المفضلة لدي... وهذا هو المكان الذي أحب أن أكون فيه"** بينما قالت فازية (Fazia) عن تذكاراتها: **"إنه مكانك، حيث تشعر بالأمان والراحة، مع كل الأشياء الموجودة حولك."** ويبدو أن النساء لديهن ارتباط عاطفي وذكريات مرتبطة بمنازلهن. ونادرا ما يكون للرجال مثل هذا الارتباط العاطفي مع منازلهم (كما تشير هذه الدراسة) لأنهم خلقوا ليكونوا صيادين وجامعين - معيلين أسرهم - ويقضون معظم وقتهم خارج المنزل. ولهذا السبب، أظهرت الفتيات في الاستطلاع أيضًا رغبة في التحكم في

137 المرجع نفسه.

المساحة الخاصة بهن كما أشارت الدكتورة كاندي:

"كانت غرفة النوم بمثابة قاعدة آمنة يمكن للفتيات من خلالها التقدم والتراجع بين مرحلة النضج وقبلها حسب المتطلبات المفروضة عليهن."(138)

تذكر أن هؤلاء كانوا جميعًا فتيات مراهقات من أستراليا الغربية مارسن حرية اختيارهن واخترن منازلهن وليس الأماكن العامة كمواقع ترفيهية لهن. أثناء مناقشة نتائج هذه الدراسة، تلاحظ الدكتورة كاندي:

"كانت الفتيات يشعرن بالقلق بشأن الكيفية التي قد تظهر بها تصرفاتهن للآخرين. لقد أبلغوا عن استمتاعهم بالوجود في غرف نومهم لأنهن يستطعن أن يكنَّ على طبيعتهن. وهذا يعني أن العديد من الفتيات يصورن "ذاتًا" ليست حقيقتهن عندما يكن في الأماكن العامة."(139)

138 المرجع نفسه.

139 المرجع نفسه.

هذه ملاحظة عميقة أدلت بها الدكتورة كاندي. تصبح الفتيات واعيات عندما يشاهدهن رجال المجتمع غير المحارم، وبالتالي يحاولن إعطاء صورة مصطنعة عنهن في الأماكن العامة. الإسلام ينقذ المرأة من هذا الصداع. عندما ترتدي المرأة الحجاب الكامل (حجاب مع نقاب) وتخرج إلى الأماكن العامة، لا يتعين عليها أن تصور نفسها بشكل مصطنع لأنه لا يمكن لأي رجل أن يستمتع بجمالها. لا يتعين على المرأة التي ترتدي البرقع أن تقلق بشأن صورة جسدها في الأماكن العامة ولا يجب عليها أن تقلق بشأن العرض العلني لمشاعرها. سيتم تغطية وجهها وكذلك جسدها. وهكذا، يوفر المنزل الأمان والعزلة التي تعتز بها المرأة وتستمتع بها، بينما يوفر البرقع للمرأة وسيلة عزلة متنقلة، كما أشارت هانا بابانيك (Hanna Papanek) في بحثها عن البرقع.

فوائد التجمعات المنفصلة – أمثلة من المجتمعات الإسلامية

تتأسف الناشطة النسوية والفيلسوفة الفرنسية لوسي إريغاراي (Luce Irigaray) في كتابها "أخلاقيات الاختلاف الجنسي" على مجتمعاتنا الحالية: "مجتمعاتنا مبنية على الرجال فيما بينهم (l'entre-hommes). وعلى هذا النظام تبقى المرأة ذرات مشتتة ومنفية".[140] وفي الواقع، هذه هي الطبيعة البشرية. على مر التاريخ، كانت هناك دائمًا مجالات مختلفة للرجال والنساء في المجتمع. يقول الشيخ عبد الحكيم مراد تعليقاً على تصريح إريغاراي:

"تقليديًا، يتم إنشاء الفضاء العام الإسلامي وإضفاء الطابع الذاتي عليه في المقام الأول من قبل الرجال ذوي الملابس البيضاء (*l'entre-hommes*). تشير النساء ذوات الملابس السوداء إلى نوع من الغياب

[140] Irigaray, Luce (1993). An Ethics of Sexual Difference. New York, Cornell University Press.

حتى عندما يَكنَّ حاضرات، من خلال افتراض وضع الضيف المحترم. ولكن المجتمع الإسلامي، الذي يتجذر في أنماط القرابة الأولية والشريعة تحديدًا، يرفض بشكل قاطع تقليص مكانة المرأة إلى "ذرات مشتتة ومنفية". هناك مساحة موازية للنساء (*entre-femmes*)، عالم من المعنى البديل والوفاء، حيث تكون النساء ضيوفًا، وهذا يخلق تواصلًا اجتماعيًا بين النساء." (141)

في الواقع، قام العديد من علماء الأنثروبولوجيا الغربيين باستكشاف النساء الإسلاميات. على سبيل المثال، قامت شانتال لوباتو (Chantal Lobato) بدراسة النساء الأفغانيات اللاجئات خلال عملها الميداني. وهي تنتقد بشدة الصور النمطية الغربية حول التجمعات المنفصلة بين الجنسين للنساء المسلمات، وتبدي إعجابها بالمودة والثراء الأخوي في حياة هؤلاء النساء المسلمات. وتشير في بحثها إلى أن **"مثل هذه المساحات النسائية في**

141 Murad, Abdal Hakim (T.J. Winter) (April 1999). “Islam, Irigaray, and the retrieval of gender”. (www.masudkhan.co.uk)

المجتمعات الإسلامية، مع أنظمة القيم والتقاليد التي بنتها النساء أنفسهن إلى حد كبير، تتقاطع مع السرد الذكوري من خلال ترتيبات مثل الزواج".[142]

وقد تبين في مواضع أخرى من هذا الكتاب أن نظر الرجل ظاهرة عالمية، وأن المرأة عموما تشعر بالحرج عندما ينظر إليها رجل غير محرم. لقد لاحظ العديد من علماء الأنثروبولوجيا أن النساء يملن إلى الاسترخاء الشديد والاستمتاع بالوقت مع رفيقاتهن في التجمعات النسائية. على سبيل المثال، لاحظت الكاتبة النسوية كارلا مخلوف (Carla Makhlouf) ما يأتي حول تجمع فردي لنساء صنعاء (اليمن):

"في مجتمع يتسم بالعزلة الصارمة والأدوار الجنسية المحددة تحديدًا صارمًا، يتوقع المرء أن يجد سلوك المرأة مقيدًا للغاية. وفي الواقع فإن

142 Quoted in: Murad, Abdal Hakim (T.J. Winter) (April 1999). Islam, Irigaray, and the retrieval of gender. (www.masudkhan.co.uk)

من أبرز سمات المجتمع النسائي في اليمن هو جو الاسترخاء الذي يبدو أنه يسود أثناء العمل وأوقات الفراغ....

لدى النساء مجال منفصل لا يملك الرجال السيطرة عليه إلا قليلًا، وهو ما قد يشكل مصدرًا للدعم وحتى للقوة. تجد أن النساء الصنعانيات لا يبدون متوترات أو مكبوتات مثل النساء في بعض الثقافات الأخرى. دائمًا ما يكون الجو في التجمعات النسائية ممتعًا ومريحًا.... إنهم يرتدون أفضل ملابسهم، والمخمل الفاخر والمطرز، ويتحدثون، ويأكلون، ويرقصون..."(143)

لاحظت الفنانة البريطانية فيرونيكا دوبلداي (Veronica Doubleday) النساء في هرات (أفغانستان) وتفاجأت برؤيتهن يرتدين ملابسهن ويراقبن الموضة ويضعن الماكياج و"يتباهين ببعضهن بعضًا". وأشار دوبلداي إلى أن سلوك النساء الأفغانيات في التجمعات النسائية قد يبدو "غريبًا" جدًا بالنسبة

[143] Makhlouf, Carla (1979). Changing Veils: Women and Modernisation in North Yemen. London, Croom Helm.

لنا.[144] وكانت تتساءل لماذا ترتدي النساء الأفغانيات ملابسهن عندما يكون هناك نساء فقط ولا يوجد رجال يرونهن؟ ومع ذلك، هذه هي فكرة الحجاب الإسلامي برمتها يعني أن ترتدي المرأة المسلمة الملابس المناسبة لنفسها ولأفراد أسرتها المباشرين ولزوجها . المرأة المسلمة لا ترتدي ملابسها وتظهر جمالها في الأماكن العامة لتكون مَحَطْ نظر الرجال.

كل هذه الأمثلة تؤكد حقيقة أن المجتمع المسلم – حين يُلزم المرأة بالحجاب أمام الرجال أو في الأماكن العامة – لا يحرمها من وسائل التعبير عن أنوثتها أو التمتع بحياتها. فالمرأة المسلمة تستمتع بجمالها وأنوثتها في محيطها الخاص: بين جدران بيتها، وفي تجمعات النساء، وبشكل خاص مع زوجها. إن جمال المرأة المسلمة وأنوثتها كنز ثمين، ليس سلعة رخيصة تُعرض في الأسواق، بل قيمة مقدسة تُحفظ لأحقها وأهلها.

---

144 Doubleday, Veronica (1988). Three Women of Herat London: Jonathan Cape, quoted in Bullock, Katherine (2002) Rethinking Muslim Women and the Veil. Virginia, IIIT.

تصورات الرجال الخاطئة عن سلوكيات المرأة الشخصية والتحرش الجنسي

يعتبر الإسلام الرجل والمرأة متساويين ولكنهما مختلفان، لأنه على مستوى الدماغ، لدى الجنسين نفسية وعواطف وتصورات مختلفة. ويحرم الإسلام الاختلاط بين الرجال والنساء في المجتمع إذا كان فيه احتمال للإغراء. اليوم، أظهر علماء النفس أنه في البيئات المختلطة بين الجنسين، فإن الرجال عند الإختلاط أكثر جنسية من النساء. غالبًا ما يعتقد الرجال خطأً أن أدنى تلميح للصداقة من جانب المرأة هو بمثابة دعوة جنسية. يقدم القرآن حلاً لهذه المشكلة في شكل تجمعات جنسية منفصلة، وإذا كانت هناك ضرورة للتحدث بين الرجال والنساء غير محرم، ينصح القرآن المرأة المسلمة إذا خاطبت الرجال الأجانب أن تتكلم معهم بحزم واحترام، وأن تختصر وتقتصر على الكلام الذي تحتاج إليه. وعلى هذا النحو، إذا كان في قلب الرجل مرض، فلا يظن أن حديثه مع المرأة هو دعوة جنسية. لأن مقصود الشريعة أن تبنى علاقة

الرجال بالنساء الأجانب عنهن على أساس نظام الأسلاك الشائكة، وأن هناك منطقة محظور فيها الاختلاط إلا بضوابط معينة في المخاطبة أو الكلام إلى آخره، حيث لا خلوة، ولا خضوع في القول.

لقد نظر علماء النفس إلى هذا الجانب من عقلية الذكور. لاحظ علماء النفس أيضًا أن مثل هذه السلوكيات أكثر معيارية ومقبولة في مكان العمل. على سبيل المثال، في إحدى الدراسات التي أجراها الدكتور فرانك إي سال (Frank E. Saal) وزملاؤه في جامعة ولاية كانساس (أمريكه)، وُجد أن الرجال يرون التفاعلات بين الرجال والنساء على أنها أكثر جنسية مقارنة بالنساء. في هذه الدراسة، نظر الرجال إلى ثلاثة تفاعلات مختلفة من منظور جنسي أكثر بكثير مما نظرت إليه النساء: (1) مناقشات "تعارف" غير رسمية بين طالبة وطالب، (2) مدير يقوم بتدريب أمينة صندوق، و(3) أستاذ يناقش تمديد مشروع مع طالبة. لقد وجد في الدراسة أن الرجال يعتقدون أن الممثلة أو الهدف تحاول أن تكون أكثر إغراءً وأكثر اختلاطًا وأكثر غزلًا، بينما لم تفكر النساء في الهدف

الأنثوي كما فعل الرجال. ومن ثم، مقارنة بالنساء، فإن الرجال أكثر عرضة لسوء فهم سلوكيات النساء الأخريات ونواياهن.[145]

وبالمثل، أجرى علماء النفس كاثرين ب. جونسون، ومارجريت س. ستوكديل، وفرانك إي. سال تجربة عملية أخرى شارك فيها 187 طالبة و165 طالبًا جامعيًا. تناولت هذه الدراسة ما إذا كانت الاختلافات بين الجنسين في التصورات الجنسية للتفاعلات الاجتماعية تستمر عندما يتم عكس الأدوار التقليدية للسلطة بين الذكور والإناث. شاهد المشاركون في الدراسة شريط فيديو مدته 5 دقائق. أنشأت كاثرين وزملاؤها اثني عشرة نسخة من السيناريو الذي يصور أستاذًا يتفاعل مع طالب من الجنس الآخر بينما تم تغيير جنس صاحب السلطة ومستوى التحرش والاستجابة للتحرش لسيناريوهات

145 Saal, Frank E., Johnson, C. B. & Weber, N. (1990). "Friendly or sexy? It may depend on whom you ask." Psychology of Women Quarterly **13**: 263-276.

مختلفة. ولم تؤكد نتائج هذه الدراسة إلا النتائج السابقة المتمثلة في سوء فهم الرجال لسلوك المرأة بغض النظر عن وضع المرأة. كتبوا:

"لتلخيص ذلك، تضيف هذه الدراسة إلى عمومية وقوة النتيجة التي مفادها أن الرجال أكثر عرضة من النساء لسوء فهم سلوك المرأة في التعامل مع الآخرين. تختلف تقييمات الرجال والنساء ليس فقط عندما تكون الأنثى تابعة في العلاقة، ولكن أيضًا عندما تكون متفوقة. علاوة على ذلك، تستمر المفاهيم الخاطئة لدى الرجال حول سلوك المرأة مع تزايد مستويات التحرش مع استثناءات قليلة. ولعل الأهم من ذلك هو أن المفاهيم الخاطئة لدى الرجال تستمر بغض النظر عما إذا كان الطالب يقبل أو يرفض تقدم الأستاذ. "(146)

[146] Johnson, Catherine B., Stockdale, Margaret S., Saal, Frank E. (1991). "Persistence of Men's Misperceptions of Friendly Cues across a Variety of Interpersonal Encounters." Psychology of Women Quarterly **15**: 463-475.

من الشائع جدًا في البيئات المختلطة بين الجنسين مثل التعليم المختلط ومكان العمل وغيرها من التفاعلات الاجتماعية المستمرة أن يخطئ الرجال في قراءة سلوك المرأة في ذلك المحيط الاجتماعي ويحاولون الاستجابة لها بناءً على هذا الفهم الخاطئ، وعندها فقط يتعلم هؤلاء الرجال ذلك لم يكن لديها أدنى اهتمام بإقامة علاقة شخصية أكثر حميمية مع ذلك الرجل. وبالمثل، في بيئات الاختلاط الحر، تواجه العديد من النساء مثل هذه المواقف عندما يسيء الرجال تفسير تعبيراتهم عن الاهتمام والود على أنها علامات على الاهتمام الجنسي. وأظهرت الدراسة المذكورة أعلاه أيضًا أنه بمجرد أن يخطئ الرجال في فهم سلوك المرأة، حتى بعد أن توضح المرأة ذلك، فإنهم لا يريدون الخروج من عالمهم الخيالي من سوء الفهم.

وفي هذا السياق يمكن فهم الوصية الإسلامية بالحجاب بسهولة. إن نفسية الرجل هي التي تضر المرأة في حالة الاختلاط الحر في المجتمع. ولهذا السبب اتخذ الإسلام نهج القضاء على الشر في مهده. والإسلام يدرك هذا النقص والخلل في نفسية الرجل. ولذلك فإن الإسلام لا يريد أن يعطي أي فرصة

للرجال للاختلاط بِحُرِّيّة مع النساء في المجتمع ومن ثم يخطئون في فهم سلوك النساء العفيفات.

الحجاب والمفهوم الإسلامي للخصوصية

إذا نظرنا إلى البنية الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، فإننا نولي أهمية كبيرة لخصوصية أفراده، والحفاظ على خصوصية ما ينبغي أن يكون خاصا. في الواقع، الشرح لكلمة "الحياء" هي "الحفاظ على خصوصية ما يجب أن يكون خاصًا". يتميز الفضاء الخاص في المجتمعات الإسلامية بحدودٍ مادية واضحة تحميه من أي تدخل خارجي (النور: 27-29). كما تكفل التشريعات الإسلامية حماية الجانب المعنوي لهذا الفضاء عبر تحريم التجسس والغيبة والقذف (النور: 12-13، الحجرات: 11-12). وبالتالي، فإن الخصوصية في المنظور الإسلامي محميةٌ بمستويين:

أولاً: الحماية المادية عبر الحدود المعمارية (كالجدران).

ثانيـاً: الحماية السلوكية عبر منع الحديث عن الأمور الخاصة أو التكهن بها.

وينطبق هذا المبدأ ذاته على الجسد البشري، حيث يوجب الشرع ستر ما لا ضرورة لإظهاره (النور: 31)، مع التمييز بين الفضاء العام (الذي يخضع لضوابط اللباس الشرعي) والفضاء الخاص (حيث تُرخي التشريعات هذه الضوابط أمام المحارم والأهل) (النور: آيات 58، 59).

على النقيض من الفضاء الخاص، تفرض الشريعة الإسلامية ضوابط صارمة في الفضاء العام لا تقتصر على اللباس المحتشم فحسب، بل تمتد لتشمل كافة السلوكيات والتفاعلات الاجتماعية. في هذا السياق، يحرم الإسلام أي تواصل جسدي بين الرجال والنساء غير المحارم، كما ينهى عن الكلام ذي الطابع المغري أو التغزلي، ويحظر بشكل قاطع ظاهرة الخلوة بين الأجنبيين استناداً إلى الأحاديث النبوية الصحيحة.

ينبثق عن هذه الضوابط مفهوم "الحجاب السلوكي" بوصفه إطاراً شاملاً ينظم العلاقات الاجتماعية في الإسلام، حيث يرسم حدوداً واضحة بين ما يجوز

إظهاره في العلن وبين ما يجب كتمانه من الأمور الخاصة. وفي هذا الإطار، يتجاوز الحجاب والنقاب كونهما مجرد زي إسلامي تقليدي، ليكتسبا أبعاداً أعمق تمثل في جوهرها ستاراً لحماية الخصوصية الجسدية ومظهراً عملياً لفضيلة الحياء التي تمثل ركيزة أساسية في المنظومة الأخلاقية الإسلامية.

تجدر الإشارة إلى أن التشريع الإسلامي في هذا المجال يقوم على توازن دقيق بين واجبين متكاملين: الأول يتمثل في احترام خصوصية الآخرين من خلال اجتناب التجسس والغيبة والقذف، والثاني يتجلى في صون الذات عبر اتخاذ كافة التدابير الوقائية وعلى رأسها الالتزام باللباس الشرعي. وتأتي مظاهر الحجاب الجسدي المتمثلة في ستر الجسم بالكامل (الحجاب) وستر الوجه (النقاب) كأبرز تجليات هذا المنهج المتكامل في الحفاظ على القيم الاجتماعية والأخلاقية في الإسلام.

ومن وجهة نظر أنثروبولوجية أيضًا، يعتبر النقاب رمزًا للخصوصية والمسافة الاجتماعية. درس عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي روبرت إف مورفي (Robert F. Murphy) شعب الطوارق (Tuareg) في أفريقيا. وفي بحثه

المنشور في مجلة الأنثروبولوجيا الأمريكية (American Anthropologist journal)، أشار ميرفي إلى أن حجاب الوجه (النقاب) هو رمز للمسافة الاجتماعية وكذلك المكانة الاجتماعية. وبالإضافة إلى ذلك، يرتبط النقاب بالخصوصية الفردية.[(147)]

[147] Murphey, Robert F. (Dec., 1964). “Social Distance and the Veil”. American Anthropologist **66**(6) Part 1, 1257-1274.

الخاتمة

وبانتهاء هذا الكتاب، نأمل أن تكون الأدلة المقدمة – من الحكمة الربانية في القرآن والسنة إلى الاكتشافات العلمية الحديثة – قد أثبتت تفوق النظام الاجتماعي في الإسلام. فالإسلام لا يظلم المرأة، بل يرفعها إلى مكانة من الكرامة والحماية والتكريم لا نظير لها في أي نظام آخر. التحرر الحقيقي في الإسلام يقوم على العفة والحشمة، ويحمي المرأة من الاستغلال والابتذال الذي تعانيه المجتمعات العلمانية.

الحجاب ليس رمزًا للقمع، بل للتمكين. فهو يحفظ هوية المرأة ويحميها من نظرات الذئاب البشرية. قارنوا هذا بما يسمى "التحرر" في الغرب، حيث تُختزل المرأة إلى سلعة تُعرض في الإعلانات ووسائل الإعلام كأداة للجذب. هذا ليس حرية، بل هو امتهان.

لقد أكد العلم الحديث ما أعلنه الإسلام منذ قرون: الرجل والمرأة متساويان في القيمة، لكنهما مختلفان في الطباع والأدوار. هذه الفروق ليست من صنع المجتمع، بل هي من خلق الله، وقد أدت محاولات محوها إلى انهيارات اجتماعية – كما نرى في ارتفاع معدلات الاكتئاب، وتفكك الأسر، والضياع الأخلاقي في الغرب .ومع ذلك، رغم جهود العلمانيين والنسويات، تبقى الفطرة الإنسانية كما خلقها الله. يقول تعالى:

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ (سورة آل عمران)

هذه الحقيقة تتجلى في كل فصل من هذا الكتاب، من الاختلافات البيولوجية والعقلية بين الجنسين إلى الانسجام المجتمعي الذي يتحقق عند تطبيق التعاليم الإسلامية. ومن المؤسف أن بعض المسلمين – حكوماتٍ ومفكرين – ما زالوا يتشبثون بأفكار نسوية بالية، متجاهلين الوحي والعلم معًا.

إلى علمائنا ومفكرينا نقول: اثبتوا على حقائق الإسلام الثابتة. وإلى مجتمعاتنا: تمسكوا بالتوازن الرباني حيث يكمل الرجل والمرأة بعضهما في الأسرة

والمجتمع. لنرفض أوهام "التحرر" الغربي، ونفخر بنظامٍ يكرم المرأة كأمٍّ ومعلمةٍ وعمادٍ للمجتمع – أدوارٌ يؤكد العلم أنها لا تُستبدل.

وفي النهاية، لا قوة تغير الفطرة التي فطر الله الناس عليها. كما قال النبي ﷺ:

"كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرةِ..." (صحيح البخاري)

مهما اشتدت عواصف الحداثة، يبقى حق الإسلام ثابتًا. فلتكن هذه الصفحات تذكيرًا: خلاصنا ليس في تقليد الغرب، بل في العودة إلى هدي خالقنا – الذي أعلم بخلقه.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ **(سورة الروم)**

- هل تساءلت يومًا لماذا تزداد المجتمعات الحديثة اضطرابًا رغم شعارات المساواة المطلقة؟

- في عصر تحاول فيه الأيديولوجيات العلمانية والنسوية المتطرفة إنكار الفروق الفطرية بين الرجل والمرأة، يبرز الإسلام والعلم الحديث بحقيقة غائبة: التكامل لا التنافس، والعدل لا التماثل.

- كيف تُفسر البحوث الطبية اختلاف نمو أدمغة الذكور والإناث؟

- لماذا يتعلم الأولاد والبنات بطرق مختلفة؟

- في هذا الكتاب المرجعي، يقدم الدكتور جوهر مشتاق رحلة معرفية شاملة تجمع بين دقة البحث العلمي وثبات النصوص الشرعية.

- من خلال تحليل عميق وشواهد دامغة، ستكتشف سر التمايز الرباني بين الرجل والمرأة، والحكمة الخفية من أحكام الحجاب.

- ستكتشف كيف يحفظ النظام الإسلامي كرامة الجنسين في انسجام تام مع الفطرة الإنسانية.

- كل هذه الحقائق وأكثر تنتظرك بين دفتي هذا الكتاب الذي يزيح كل هذه الحقائق وأكثر تنتظرك بين دفتي هذا الكتاب الذي يزيح الغبار عن رؤية الإسلام النقية في زمن الضبابية الفكرية.